كلية اللغة العربية بأسيوط

المجلة العلمية

من جهود ابن جني الصوتية

دكتورة

عازة عبدالعزيز محمد

مدرس أصول اللغة في كلية البنات الإسلامية والعربية بأسيوط

(العدد الواحد والثلاثون – الجزء الثالث ٢٠١٢م)

المقدمة

الحمد لله فاطر السماء والأرض ، ذي العزة والعلاء ، والعظمة والكبرياء ، واشهد أن لا معبود سواه ، ولا إله إلا هو ، وأن محمداً " صلى الله عليه وسلم " عبده المنتخب ، وحجته على العرب والعجم ، وعلى آله الكرام وصحبه الأخيار وبعد ،،،

تطل مفردات هذه الدراسة إطلالة عاجلة متواضعة على بعض جهود "ابن جني" الصوتية ، ذلك العالم الذي جهله الكثير من أهله ، ولم يلتفوا صوبه ، إلا بعد أن نبههم إليه غيرهم ، وانتفعوا بمصنفاته بعد إطلاعهم عليها ، ونحو منحاه في البحث اللغوي وشيدوا فوقه ما وضع للحضارة الإنسانية قواعدها ، فقد نهض " ابن جني " بأعباء الصوت اللغوي بما يصح أن نطلق عليه اسم الفكر الصوتي إذا تجاوز مرحلة البناء والتأسيس ، إلى مرحلة التأصيل والنظرية ، فمن تمحض أفكاره وإلمحاته الصوتية جعله في عداد المبدعين والمؤصلين ٠

كما أنه أجاد في وصف الأصوات العربية ، وبين الأحوال العامة لحروف المعجم من حيث بيان مخارجها ، ومدارجها ، وانقسام أصنافها ، وأحكام مجهورها ومهموسها ، وشديدها ، ورخوها ، وصحيحها ، ومعتلها ومطبقها ، ومنفتحها ، وساكنها ، ومعتلها ، ومنحرفها ، ومستعليها ، ومنخفضها ٠

أجاد في ذلك إجادة أثارت إعجاب العلماء وتقديرهم ، على الرغم من اعتماده على وسائل تحليلة بسيطة تتمثل في التجربة الذاتية والتذوق الشخصي ، وقد دعا هذا الإعجاب والتقدير المستشرق " برجستراسر " إلى أن يقول : لم يسبق الأوربيين في هذا العلم إلا قومان العرب والهنود ٠ أما " فيرث " فقد نسب هذه الدراسة إلى لغتين مقدستين هما : العربية والسنسكريتية ، وكان هدفي من إبراز بعض هذه الجهود لعالمنا الجليل " ابن جني " هو تبين موقعه الصحيح بين دراسات العرب الأقدمين الذين أسهموا إسهامات رائعة في وضع الركائز الأولى لعلم الأصوات ، مما

أتاح لهم فرصة التوصل إلى النتائج الصوتية التي اصطلح عليها علماء الأصوات العالميين ٠

هذا وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة { من جهود ابن جني الصوتية } أن تأتي في مبحثين تسبقهما مقدمة ألقيت فيها الضوء على بعض من إنجازات " ابن جني " الرائدة في مجال علم الأصوات ، ثم تمهيد بينت فيه موقع الدراسات الصوتية من الدراسات العربية القديمة ، وينتهيان بخاتمة توجز أهم نتائج البحث ، ثم ثبت بأهم المصادر والمراجع ٠

ولست أدعي أن دراستي بلغت كل ما يرجى لها فالكمال لله وحده وحسبي أنني جمعت في هذه الدراسة ما تهيأ لي من مصادر ، وما استطعت بذله من جهد حول ما تناثر من فكر وأراء حول الصوتيات عند " ابن جني " وشفعته ببعض الملاحظات أرجوا ألا أكون مخطئة فيها ، مع النصح ببذل المزيد من العناية بتراثنا اللغوي لنغوص في أعماقه ، ونستخرج دفائنه ، وندفع عنه ظلماً أحاط به ، وخاصة لمن يقولون : أن اللسانيات علم حديث ، وللغرب الفضل في ظهوره ونمائه ٠

والله من وراء القصد

الباحثة

التمهيد

من المعلوم أن مستوى الدرس الصوتي عند العلماء العرب جاء متأخراً عن بقية المستويات اللغوية الأخرى ولكنهم حاولوا وضع إسهامات رائعة لهذا العلم ، واهتموا باللفظ اهتماماً يوحي بأنه هو الركيزة الأساسية التي يبنى عليها بقية الكلام .

وكان دور علماء العربية في هذا المجال قبل " ابن جني " معالجة الصوتيات من خلال قضية أخرى ، وذلك لأن علم الأصوات لم يعرف بهذا الاسم عند العرب إلا في مرحلة لاحقة ، ولكنه لم يغب عن مصنفات المتقدمين من علماء العربية ، نحوها وصرفها ، وعروضها وبلاغتها ، وموسوعاتها الأدبية ، والطب والحكمة والموسيقى ، والقراءات والتجويد ، فقد مازج علم الأصوات هذه العلوم المختلفة وداخلها ، حتى لا تكاد تقع على كتاب فيها يخلو من كلام في علم الأصوات أو أثارة منه .

وفي محاولة لاحقة لهذه المحاولات المبثوثة في شتى ميادين المعرفة التي خلفها الأسلاف حاول الخليل التمييز بين الصوامت والصوائت،فقد وزع الحروف على مخارجها،ونسب كل مجموعة منها إلى مخرج ، كالحلق واللهاة واللسان والشفتين ، ثم رتب الحروف في مدرج المخارج ، على نحو يشعر بإدراكه الفرق بين النوعين ، فقد أتى بخمسة وعشرين حرفاً على نسق متصل في سلسلة واحدة وسماها الحروف الصحاح ، ثم أتبعها بمجموعة أخرى وسماها حروف المد ، ومنها الهمزة وسماها هوائية .

أما عند " ابن جني " فيبدوا التمييز بين الصوامت والصوائت على نحو أوضح في تصوير بارع ودقيق عند مقارنته جهاز النطق عند الإنسان بالناي ، فحاول التمييز بين الصامت والصائت تمييزا يوافق ما تجري عليه الدراسات اللغوية المعاصرة وذلك بقوله : " شبه بعضهم الحلق والفم بالناي ، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً

أملس ساذجاً ، كما يجري الصوت في الألف غفلاً بغير صنعة ، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة ، ورواح بين أنامله اختلفت الأصوات ،وسمع لكل حرف منها صوت لا يشبه صاحبه ، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة " [1] .

فمما مر نجد أنه لا خلاف بين القدماء والمحدثين في طبيعة الأصوات وصفاتها ، وإنما الخلاف في طريقة التفكير الذي فرضته طبيعة الأزمان .

(١) سر صناعة الإعراب لابن جني ١/ ٧٨ .

المبحث الأول : أضواء على حياة " ابن جني "

مولده ونسبه : ـ

"هو أبو الفتح ، عثمان بن جني الموصلي النحوي اللغوي ، من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، وصاحب التصانيف الفائقة المتداولة في اللغة" (١) .

"ولم تذكر المصادر التاريخية وكتب التراجم نسباً له بعد جني ؛ إذ أن أباه جني كان عبداً رومياً مملوكاً لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي " (٢) .

"وجني بكسر الجيم وتشديد النون وكسرها وسكون الياء علم رومي وهو معرب كني" (٣) .

"وتعني كلمة "جني"في العربية : الفاضل ، وتعني في اليونانية : كريم ، نبيل ، جيد التفكير ، عبقري، مخلص" (٤).

"وكانت ولادة ابن جني بالموصل ، وفيها قضى طفولته وتلقى دروسه الأولى ،

---

(١) البداية والنهاية لأبي إسماعيل الدمشقي ، ط أولى ، القاهرة ، دار الفجر للتراث ١٩٩٨م ٣٦٠/١١ ، وعبقري اللغويين " أبي الفتح عثمان بن جني " للأستاذ الدكتور/ عبد الغفار حامد هلال ، دار الفكر العربي ، ط أولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م ٣٧/١ وما بعدها ، والمذكر والمؤنث لابن جني ، تحقيق وتقديم الدكتور/ طارق نجم عبد الله ، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع ص٩ وما بعدها .

(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان ، بيروت دار الثقافة ١٩٧٧ م ٢٤٦/٣ .

(٣) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ،السيوطي ،بيروت المكتبة العصرية ١٢٣/٢ . والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ابن جني ، تحقيق / علي النجدي ناصف والدكتور/ عبد الحليم النجار ، والدكتور / عبد الفتاح شلبي ، القاهرة ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ص٥ وما بعدها .

(٤) الخصائص ، القاهرة ، دار الحديث ٦/١ .

وذكرت المصادر التي ترجمت له أنه ولد قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة " [١] .

"وقد أقام ابن جني بعد الموصل ببغداد ، وظل يدرس بها العلم إلى أن توفي . ولا يعرف من أسرة ابن جني غير أبيه ، وعلى الرغم من شهرته بكنيته أبي الفتح إلا أن المصادر لم تذكر أن له ولداً بهذا الاسم ، وما ذكر له : علي ، وعالٍ ، وعلاء ، يقول فيهم ياقوت الحموي : كلهم أدباء فضلاء قد خرجهم والدهم وحسن خطوطهم فهم معدودون في صحيحي الضبط ، وحسني الخط " [٢] .

وروي أنه كان ممتعاً بإحدى عينيه وذلك كناية عن أنه كان أعور ويشير إلى ذلك هذه الأبيات :

صدودك عني ولا ذنب لي يدل على نية فاسدة
فقد وحياتك ما بكيت خشيت على عيني الواحدة
ولولا مخافة أن لا أراك لما كان في تركها فائدة [٣]

"وروي أن ابن جني كان في لسانه لكنة لمكانه من العجمة من جهة أبيه ، فكان يستعين على إيضاح ما يريد بالإشارة ، وهذه الصفات ولا ريب لا يمكن أن تقدح في شخصية الرجل التي طبقت الآفاق بسعة علمه وإفاضته في علوم العربية ، كما أنه كان رجل جد وامرأ صدق في قوله وفعله ، فلم يعرف عنه اللهو والشرب والمجون ، وكان عفَّ اللسان والقلم ، يتجنب البذيء من الألفاظ ، ولم يكن همه رضاء الملوك ومنادمتهم كأدباء عصره " [٤] .

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان ٢٤٨/٣ .
(٢) معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، بيروت دار إحياء التراث العربي ٩١/١٢ .
(٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان ٢٤٦/٣ .
(٤) مقدمة الخصائص ، الشربيني ، القاهرة ، دار الحديث ٩/١ .

شيوخه وتلاميذه : -

"صحب ابن جني ، أبا علي الفارسي ، أربعين سنة وكان السبب في صحبته له ، أن أبا عليٍ اجتاز بالموصل فمر بالجامع وأبو الفتح في حلقة يقرئ النحو وهو شاب قيل : إن عمره كان سبع عشرة سنة ، فسأله أبو علي الفارسي عن مسألة في التصريف فقصر فيها ، فقال له أبو علي : زببت وأنت حصرِم ، فسأل عنه فقيل له : هذا أبو عليٍ الفارسي فلزمه من يومئذ ، واعتنى بالتصريف فما أحد أعلم منه به ولا أقوم بأصوله وفروعه ، ولا أحسن أحد إحسانه في تصنيفه ٠ وقد أخذ ابن جني عن أبي علي الفارسي وأحسن الأخذ عنه ، وهو الذي أحسن تخريجه ونهج له البحث . وتجمع الروايات على أن أبا الفتح صحب أبا علي بعد سنة {٣٣٧هـ} ولازمه في السفر والحضر"[١] ٠

وكان ابن جني يقدر علم شيخه يقول في كتابه الخصائص : "وقلت مرة لأبي بكر أحمد بن علي الرازي – رحمه الله - وقد أفضنا في ذكر أبي علي ونبل قدره ونباوة محله : أحسب أن أبا علي قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا ، فأصغى أبو بكر إليه ، ولم يتشَنع هذا القول عليه "[٢]٠

وقد أخذ ابن جني النحو عن أحمد بن محمد الموصلي الشافعي المعروف بالأخفش، وممن استفاد منهم ابن جني أبو بكر محمد بن الحسن بن يعقوب المعروف بابن مقسم أحد قراء بغداد كان عالماً باللغة والشعر وسمع من ثعلب.

وقد تردد اسم ابن مقسم مراراً في كتبه الذائعة الصيت كسر الصناعة، والخصائص وكان يأخذ عنه عن أحمد بن يحيى ثعلب فهو يذكر أحياناً أنه أخبره عنه كأن يقول :"أخبرنا محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى ، وقرأ ابن جني على أبي

---

(١) مقدمة الخصائص ، الشربيني ١٢/١ ٠

(٢) السابق نفس الصفحة .

الفرج الأصفهاني ، وروى عن أبي بكر محمد بن هارون الروياني عن أبي حاتم السجستاني ، وروى أيضاً عن محمد بن سلمه عن أبي العباس المبرد ومن العرب الفصحاء الذين أخذ عنهم اللغة ، وكان يثق بلغتهم أبو عبد الله محمد بن العساف العقيلي التميمي ، وقد يذكره ابن جني باسم أبي عبد الله الشجري"[١] .

مذهبه : ـ

كان ابن جني حنفي المذهب، فتراه ينصر الحنفية على الشافعية [٢] .

الحالة العلمية في عصره :-

في القرن الرابع الهجري ، أصيب العالم الإسلامي بانقسام كبير، فهذا العصر يمثل عصر ضعف الدولة العباسية ، فالخلفاء مغلوبون على أمرهم والأمر لغيرهم ، فمصر في أيدي الفاطميين ثم في أيدي الإخشيديين ، وولايات فارس يتداولها المتغلبون ، وبلاد كثيرة تحت أيدي الحمدانيين ، لذلك تعرض الكثير من الخلفاء للخلع والإذلال ، ولم يكن الخليفة معهم إلا بالاسم ، فعاث العامة في الأرض الفساد ، وتفاقم شر اللصوص، وانتشرت الفوضى والمنازعات وساءت الأحوال [٣] .

ابن جني النحوي الصرفي :-

كان ابن جني من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف ، إلا أن علمه بالصرف كان أقوى وأكمل من علمه بالنحو ، بل لم يكن في شيء من علومه أكمل منه في التصريف، ولم يتكلم أحد - كما قال ياقوت - في التصريف أدق

(١) مقدمة الخصائص ، ١٠/١ .

(٢) السابق ١٩/١ .

(٣) السابق ٢٣/١ ، وعبقري اللغويين ابن جني ، للأستاذ الدكتور / عبد الغفار هلال ص ٥٥ .

كلاماً منه [١] .

وخير دليل على ذلك القصة،التي قال له فيها شيخه أبي علي الفارسي حين سأله عن مسألة في التصريف فقصر فيها ولم يستطع الإجابة عنها " زببت وأنت حصرِم" فمن يومئذ - وكان حينها في مقتبل شبابه - لزم نفسه شيخه هذا مدة أربعين سنة ، وقد اعتنى بالتصريف أحسن ما يكون الاعتناء .

"وكان ابن جني بصري المذهب كشيخه أبي علي ، ويجري في كتبه ومباحثه على أصول هذا المذهب ويدافع عنه،ومن شدة حبه للعلم فكان يأخذه من أهله ، بصرياً كان أو غيره ، فيكثر من النقل عن ثعلب ،والكسائي ويمدحهما على اختلافه معهما في المذهب ، وقد يأخذ برأي البغداديين ،المدرسة البغدادية وسط بين المدرستين البصرية والكوفية" [٢].

أراء العلماء فيه : -

" فتح ابن جني أبواباً لم يتسن فتحها لسواه ، ووضع أصولاً في الاشتقاق ومناسبة الألفاظ للمعاني ، وإهمال ما أهمل من الألفاظ وغير ذلك ، ومن الذين استفادوا من بحوثه ابن سيده ، وابن سنان الخفاجي ، وغيرهم "[٣] .

وقد نال ابن جني مرتبة سامية لم ينلها أحد سواه ، وقد اثبت له ذلك المتقدمون والمتأخرون .

يقول الثعالبي: "هو القطب في لسان العرب، وإليه انتهت الرياسة في الأدب" [٤] .

---

(١) معجم الأدباء ٨١/١٢ ، ٨٢ ، ٨٣ .

(٢) مقدمة الخصائص ٢١/١ .

(٣) السابق ١٦/١ .

(٤) يتيمة الدهر ، أبو منصور الثعالبي ، ط أولى ١٩٨٣ م بيروت ، دار الكتب العلمية ١/ ١٣٧ .

ويقول الباخرزي : عن أبي الفتح عثمان بن جني ، " ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات ، وشرح المشكلات ماله ، فقد وقع عليها من ثمرات الإعراب ولا سيما في علم الإعراب ، ومن وقف على مصنفاته وقف على بعض صفاته " (١) .

وقال ياقوت : " عثمان بن جني.....من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، وصنف في ذلك كتباً أبر بها على المتقدمين ، وأعجز المتأخرين..... ولم يتكلم أحد في التصريف أدق كلاماً منه " (٢) .

وقد جاء في تاريخ العلامة ابن خلدون: " مثل ما وصل إلينا بالمغرب لهذا العهد من تأليف رجل من أهل صناعة العربية من أهل مصر يعرف بابن هشام ، ظهر من كلامه فيها أنه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة ، لم تحصل إلا لسيبويه وابن جني ، وأهل طبقتهما" (٣).

ويقول الإمام الذهبي عنه : " إمام العربية " (٤) .

وفي هذه الشهادات ما فيها من إبراز كبير لمكانة ابن جني العلمية .

أما المحدثون : -

فإنهم يتفقون على قدم سبقه ، وعبقريته في علوم العربية ، فجلّ البحوث اللغوية الحديثة تعتمد على آرائه في اللغة ، والأصوات ، والتصريف ، فقد كان نسيج

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر ص ٢٩٧ ، نقلا عن الحموي من معجم الأدباء ١٢ /٨٥ .

(٢) السابق ١٢ /٨١، ٨٢ ، ٨٣ .

(٣) تاريخ ابن خلدون ، ط أولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ١ / ٥٣٢ .

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ، تحقيق/أبو عبد الله عبد السلام محمد عمر ، دار الفكر، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م ٧/١٧ .

وحده في صناعة التصريف ، ويعد بحق فيلسوف العربية وباقرها ، وأكبر أئمة النحو بعد الخليل وسيبويه ، وقد بواه الأستاذ أحمد أمين " زعامة مدرسة القياس " [١].

"ورآه الأستاذ سعيد الأفغاني أعلى علماء العربية كعباً في جميع عصورها وأغوصهم عامة على أسرار علم العربية ، والاهتداء إلى النظريات العامة فيها . ونسب إليه ابتداع نظرية الاشتقاق الأكبر ، وتأسيس فقه اللغة ، وإمارة علم التصريف بلا منازع" [٢].

"وكذلك أقر الأستاذ محمد علي النجار محقق الخصائص بنبوغه في الصرف ، وسعة درايته وروايته وفضله على المتأخرين "[٣] .

" ونسب إليه الدكتور / شوقي ضيف وضع القوانين الكلية في التصريف" [٤] .

واهتم الغربيون بابن جني العالم الذي جهله الكثير من أهله ، ولم يلتفتوا صوبه إلا بعد أن نبههم إليه غيرهم ، انتفعوا بمصنفاته بعد إطلاعهم عليها ، ونحو منحاه في البحث اللغوي وشيدوا فوقه ما أسس للحضارة الإنسانية ، وأكملوا ما بدأه هذا العبقري العظيم ، ولو رجعنا إلى مؤلفاتهم لوجدنا بصمات " ابن جني " بارزة في ما كتبوه وصنفوه .

يقول البروفسور ستيفن أولمان Stephen Ullmann أستاذ علم اللغة - فرع

---

(١) في أصول النحو لسعيد الأفغانى الناشر مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ص ١٠٣ .

(٢) السابق ١٠٤ .

(٣) مقدمة الخصائص ، مطبعة دار الهدى ، ط الثانية ص ٤٧ .

(٤) المدارس النحوية للدكتور/ شوقي ضيف ، الطبعة الثانية ،دار المعارف بمصر ١٩٧٢م ص ٢٦٥ وما بعدها .

الدراسات الرومانية - بجامعة ليدز Leads بإنكلترا المعروف بثقافته الواسعة في اللغة وقضاياها والأدب والنقد الأدبي وعلم النفس : "وفي أماكن أخرى كثيرةٍ تستعمل الأصوات الموحِية بمعانيها أو المحاكِية للأحداث المعبرة عنها ونستغلها استغلالا يقصد به إلى إحداث التأثير الدرامي كما جاء في بيتٍ من روايةِ أندروماك Andromaque لراسين Racine حيث يسمع أورست Oretes فحيح الأفاعي في الهواء وقد أصابته لوثة من الجنون فيصِيح بعبارة يتكرر فيها صوت ال s الذي يشبه فحيح الأفاعي "[١].

وهو يذكر أن هذه المسألة كانت موضع عناية عدد من الكتاب الغربيين مشيرًا إلى قول بوب Pope : " أن المعنى يجب أن يكون صدى للصوت " [٢].

وأثر ابن جني هنا واضح فهذا رأيه ذكره في كتاب الخصائص حيث قال :" إنهم قد يضِيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبها وتقديم ما يضاهِي أول الحدث وتأخير ما يضاهي آخره وتوسِيط ما يضاهي أوسطه سوقا للحرف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب ، وذلك قولهم : بحث : فالباء لغلظها تشِبه بصوتها خفقة الكف على الأرض ، والحاء لصحلها ، تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب ، ونحوهما إذا غارت في الأرض ، والثاء للنفث ، والبث في التراب " [٣] .

"ويلفت ستيفن أولمان Stephen Ullmann الانتباه إلى بيتين للشاعر كيبتس Kepts من قصيدته " أغنية إلى بلبل "

---

(١) دور الكلمة ، ترجمة د / كمال بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٧٥ م ، ص ٧٧ ، ٧٨ .

(٢) السابق ٧٩ .

(٣) الخصائص ٢ / ١٦٢ ، ١٦٣ .

Felour the very word is like a bell
to call me back from the to many sole self.

مشيراً إلى أن كلمة felour ومعناها أيها النفس الضائع تشِبه أو تحاكِي أصوات الأجراس فهي ترن في أذنه وترده عن الطائر المخاطب ذات نفسه" [١] .

وهذا ما قاله ابن جني محاولاً إيجاد علاقة بين اللفظ والمعنى حيث يقول : " وذلك أنهم كثيرًا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها وذلك أكثر مما نَقدره وأضعاف ما نستشعِره "[٢].

ويورد ابن جني على ذلك أمثلة كثيرة منها : " خضم وقضم فالخضم الأكل الرطب كالبطيخ والقثاءِ وما كان نحوهما من المأكول الرطب ، والقضم للصلب اليابس فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتِها لليابس حذوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأَحداثِ " [٣] .

ابن جني الأديب : -

لم يكن ابن جني من العلماء الذين يقتصرون على مجالس العلم والتعليم ، أو حتى التأليف ، إنما كان كمن يريد أن يملك نواصي اللغة .

وخير دليل على ذلك ، ما أثبته ياقوت في معجمه[٤] عن خط أبي الفتح بن جني خطبة نكاحٍ من إنشائه يقول فيها : " الحمد لله فاطر السماء والأرض ، ومالك الإبرام والنقض ، ذي العزة والعلاء ، والعظمة والكبرياء ، مبتدع الخلق على غير مثالٍ ، والمشهود بحقيقته في كل حالٍ ، الذي ملأت حكمته القلوب نوراً، فاستودع علم الأشياء

---

(١) دور الكلمة في اللغة ، استيفان أولمان ص ٨٠ ، ٨١ .

(٢) الخصائص ٢ / ١٥٧، ١٥٨ .

(٣) السابق نفس الصفحات .

(٤) معجم الأدباء ١٢ /٩٣ – ٩٦ ، وعبقري اللغويين ابن جني ، للأستاذ الدكتور / عبد الغفار هلال ص ١٧١ وما بعدها .

كتاباً مسطوراً ، وأشرق في غياهب الشبه خصائص نعوته ، واغترقت أرجاء الفكر بسطبية ملكوته ،أحمده حمد معترف بجزيل نعمه وأحاظيه ملتبساً بسني قسمه وأعاطيه، وأؤمن به في السر والعلن ، وأستدفع بقدرته ملمات الزمن ، وأستعينه على نوازل الأمور، وأدرئه في نحر كل محذور، وأشهد شهادةً تخضع لعلوها السموات وما أظلت ، وتعجز عن حملها الأرضون وما أقلت،أنه مالك يوم البعث والمعاد، والقائم على كل نفسٍ بالمرصاد ، وأن لا معبود سواه ، ولا إله إلا هو ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم - ويحل وكرم - عبده المنتخب ، وحجته على العجم والعرب،ابتعثه بالحق إلى أوليائه ضياءً لامعاً ، وعلى المراق من أعدائه شهاباً ساطعاً ، فابتذل في ذات الله نفسه وجهدها، وانتحى مناهج الرشد وقصدها ، مستسهلاً ما يراه الأنام صعباً ، ومستخصباً ما يرعونه بينهم جدباً ، يغامس أهل الكفر والنفاق ، ويمارس البغاة وأولى الشقاق ، بقلبٍ غير مذهولٍ ، وعزمٍ غير مفلول يستنجز الله صادق وعده ، ويسعى في خلود الحق من بعده، إلى أن وطد بوانى الدين وأرساها ، وشاد شرف الإسلام وأسماها ، فصرم مدته التي أوتيها في طاعة الله موفقاً حميداً ، ثم انكفأ إلى خالقه مطمئنا به فقيداً ، " صلى الله عليه وسلم " ما ومض في الظلام برق ، أو نبض في الأنام عرق ، وعلى الخيرة المصطفين من آله ، والمقتدين بشرف فعاله.

وإن مما أفرط الله تعالى به سابق حكمه ، وأجرى بكونه قلم علمه ، ليضم بوقوعه متباين الشمل ، ويزم به شارد الفرع إلى الأصل ، أن فلان بن فلان وهو - كما يعلم من حضر من ذوي الستر وصدق المختبر - مشجوح الخليقة ، مأمون الطريقة ، متمسك بعصام الدين ، آخذ بسنة المسلمين ، خطب للأمر المحموم ، والقدر المحتوم ، من فلان بن فلان الظاهر العدالة والإنصاف ، أهل البر وحسن الكفالة والكفاف ، عقيلته فلانة بنت فلانٍ خيرة نسائها وصفوة آبائها في ذكاء منصبها وطيب مركبها ، وقد بذل لها من الصداق كذا وكذا ، فليشهد على ذلك أهل مجلسنا ، وكفى بالله شهيداً ،

ثم يقرهما ثم يقال :لاءم الله على التقوى كلمتيكما ، وأدام بالحسنى بينكما ، وخار لكما فيما قضى ، ولا أبتركما صالح ما كسا ، وهو حسبنا وكفى ٠

ابن جني الشاعر : -

كان لابن جني ملكة شعرية عالية الحس ، يقول الباخرزي في دمية القصر [١]: فوربيّ، إنّه كشف الغطاء عن شعر المتنبي ، وما كنت أعلم به أنّه ينظم القريض ، أو يسيغ ذلك الجريض ، حتى قرأت له مرثية في المتنبي أولها :

غاض القريض وأذوت نضرة الأدب ... وصوحت بعد ري دوحة الكتب

ومن هذه المرثية أيضا:

سلبت ثوب بهاء كنت تلبسه كما تخّطفت بالخطّية السلب

ما زلت تصحب في الجّلى إذا انشعبت قلباً جميعاً وعزماً غير منشعب

وقد حلبت لعمري الدّهر أشطره تمطو بهمة لا وانٍ ولا نصب

من للهواجل يحيي ميت أرسمها بكل جائلة التصدير والحقب

قباء خوصاء محمود علالتها تنبو عريكتها بالحلس والقتب

وقد قال الثعالبي[٢]: وكان الشعر أقل خلاله لعظم قدره ، وارتفاع حاله ومما أنتجته قريحته أيضاً قوله في الغزل :

غزال غير وحشي حكى الوحشي مقلته

رآه الورد يجني الور د فاستكساه حلته

وشم بأنفه الريحا ن فاستهداه زهرته

وذاقت ريقه الصهبا ء فاختلسته نكهته

مؤلفاته :-

(١) دمية القصر ٢٩٧ نقلاً عن معجم الأدباء ١٢ / ٨٥ – ٨٩ ٠

(٢) يتيمة الدهر ١ / ١٣٧ ٠

ترك ابن جني لأجيال بعده ثروة علمية رائعة وقد أورد الحموي إجازة كتبها ابن جني لأحد تلاميذه ، وهو الشيخ أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر وذلك في آخر جمادى الآخرة من سنة أربع وثمانين وثلاثمائة من الهجرة ، أي قبل وفاته بنحو ثماني سنوات ، أورد فيها معظم تواليفه إن لم يكن كله ، وقد جاء في أولها : " قد أجزت للشيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر - أدام الله عزه - أن يروي عني مصنفاتي وكتبي مما صححه وضبطه عليه أبو أحمد عبد السلام بن الحسين البصري – أيد الله عزه - عنده منها ، ثم ذكر منها : الخصائص ، التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله السكري ، سر الصناعة، تفسير تصريف المازني ، شرح المقصور والممدود لابن السكيت ، تعاقب العربية ، تفسير ديوان المتنبي الكبير و"يسمى الفسر" تفسير معاني ديوان المتنبي، و "هو شرح ديوان المتنبي الصغير "، اللمع في العربية، مختصر التصريف المشهور بالتصريف الملوكي ، مختصر العروض والقوافي ، الألفاظ المهموزة ، المقتضب ، تفسير المذكر والمؤنث ليعقوب " ذكر أنه لم يتمه" [1].

وقد ذكر ياقوت أن له كتبا أخرى لم تتضمنه هذه الإجازة منها : –

كتاب المحتسب في شرح الشواذ ، وكتاب تفسير أرجوزة أبي نواس ، وكتاب تفسير العلويات وهي أربع قصائد للشريف الرضى كل واحدة في مجلد ، وهي قصيدة رثى بها أبا طاهر إبراهيم ابن نصر الدولة أولها:

ألق الرماح ربيعة بن نزار أودى الردى بقريعك المغوار

ومن كتبه أيضا : كتاب البشرى والظفر صنعه لعضد الدولة ومقداره خمسون ورقةً في تفسير بيت من شعر عضد الدولة، وكتاب رسالة في مد الأصوات ومقادير المدات كتبها إلى أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري مقدارها ست عشرة ورقةً بخط

(١) معجم الأدباء ١٠٩/١٢ ، ١١٠ ، والمحتسب لابن جني ص ٧ ، وينظر آثاره العلمية في عبقري اللغويين لابن جني ، للأستاذ الدكتور / عبد الغفار هلال ص ٢٢٣ : ٢٦٤ .

ولده عالٍ ، وكتاب المذكر والمؤنث ، وكتاب المنصف ، وكتاب مقدسات أبواب التصريف ، وكتاب النقض على ابن وكيعٍ في شعر المتنبي وتخطئته ، وكتاب المغرب في شرح القوافي ، وكتاب الفصل بين الكلام الخاص والكلام العام ، وكتاب الوقف والابتداء ،وكتاب الفرق ،وكتاب المعاني المجردة ، وكتاب الفائق ، وكتاب الخطيب ، وكتاب الأراجيز ، وكتاب ذي القد في النحو ، وكتاب شرح الفصيح ، وكتاب شرح الكافي في القوافي وجد على ظهر نسخة ذكر ناسخها أنه وجده بخط أبي الفتح عثمان ابن جنيٍ - رحمه الله - على ظهر نسخة كتاب المحتسب في علل شواذ القراءات [1]. إلى غير ذلك من هذه الذخائر ٠

وفاته : -

توفي أبو الفتح عثمان بن جني في بغداد ، في خلافة القادر ، يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر ، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة من الهجرة رحل ابن جني عن دنيا الناس، تاركاً مؤلفاته وذخائره العلمية تتحدث عنه وتحييه بينهم من جديد [2] ٠

(١) معجم الأدباء ١٢ / ١١١ – ١١٣ ٠

(٢) وفيات الأعيان ، ابن خلكان ٣ / ٢٤٨ ، معجم الأدباء، ياقوت الحموي١٢/٨٣ ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ٣/١٤١ ، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،ابن الجوزي ،دراسة وتحقيق/محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا ، راجعه وصححه / نعيم زرزور ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م ١٥ / ٣٣ ،٣٤ ، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ /١٩٩٣م ٢/٤٤٥ ، وسير أعلام النبلاء، الذهبي١٧/١٩،والعبر في خبر من غبر للحافظ الذهبي ، حققها وضبطها على مخطوطتين / أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ٢/١٨٣ ، والبداية والنهاية لابن كثير منشورات مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٧٧ م ١١/٤٠٢ ، والمحتسب لابن جني ص ٧ ٠

المبحث الثاني
ابن جني والصوت اللغوي

أكدت الدراسات القديمة أن عناية القدامى بعلم الصوتيات كانت سعياً وراء تحقيق غرض نبيل وهو المحافظة على كتاب الله – سبحانه وتعالى – وصيانته من اللحن كما أنهم عالجوا بها العديد من القضايا النحوية ، والصرفية ، والدلالية ، والتي لا يمكن أن تتم دراستها بعيداً عن علم الصوتيات ٠

والذي يعنينا الآن أن نذكر ما كتبه ابن جني في الصوتيات ، بهدف إبراز موقعه من الدراسات اللغوية ، قديماً ، وحديثاً ، فقد كانت الأصوات هي الشغل الشاغل لابن جني ولها في تفكيره اللغوي جذور عميقة ، وعلى هدي منها عالج كثيراً من القضايا اللغوية ، وخاصةً ما اتصل منها بعلم الصرف ٠

كما أنه نهض بأعباء الصوت اللغوي بما يصح أن نطلق عليه اسم الفكر الصوتي إذ تجاوز مرحلة البناء والتأسيس إلى مرحلة التأصيل والنظرية ، فقد تمحض لقضية الأصوات في كتابه " سر صناعة الإعراب " مما جعله في عداد المبدعين ، وخطط لموضوعات الصوت مما اعتبر فيه من المؤصلين ٠

ومن المعروف أن اللغة – أي لغة – تدرس اليوم من جوانب أربعة هي:

١. جانب الأصوات ٠ Phonology-Phonetics .

٢. جانب بناء الكلمة ٠ Morphology .

٣. جانب بناء الجملة ٠ Syntax .

٤. جانب الدلالة ٠ Semantics .

والجانب الصوتي هو الأول والأهم ، وعليه الاعتماد في دراسة الجوانب الثلاثة الأخرى، ويدور حوله معظم الدراسات اللسانية المعاصرة ، وعلم الأصوات Phonétique علم جديد قديم ، جديد لأنه واحد من فروع علم اللسانيات

linguistque الذي لا يعدو تأسيسهُ مطلعَ هذا القرن على يد اللغوي السويسري فرديناند دوسوسّور [١] .

وقديمٌ لأنه واحد من العلوم التي تقوم عليها كل لغة، فاللغة أصوات تتألف منها كلمات تنظم في جمل فتؤدي معاني شتّى ، أو هي على حد تعبير " ابن جني " : أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم [٢] .

من أجل ذلك كان لزاماً علينا في بداية دراستنا هذه أن نلقي الضوء على ماهية الصوت ٠

ماهية الصوت " في اللغة والاصطلاح " : –

الصوت لغة : الجرس ، والجمع أصوات . قال ابن السكيت : الصوت صوت الإنسان وغيره ، والصائت : الصائح ، ورجل صيّت : أي شديد الصوت [٣]٠ ورجل صائت : حسن الصوت شديده ، وكل ضرب من الأغنيات صوت من الأصوات [٤] ٠

وأما الصوت في الاصطلاح فقد عرفه الراغب بقوله : " الصوت الهواء المنضغط عن قرع جسمين ، وذلك ضربان : صوت مجرد عن تنفس بشيء كالصوت الممتد ، وتنفس بصوت ما .

والمتنفس نوعان : غير اختياري كما يكون من الجمادات ومن الحيوانات واختياري كما يكون من الإنسان ، ذلك ضربان : ضرب باليد كصوت العود وما يجري

---

(١) مدخل إلى الألسنية للدكتور / يوسف غازي ، منشورات العالم العربية الجامعية ، دمشق ، ط أولى ١٩٨٥م ص٣٠ ، ٣١ .

(٢) الخصائص لابن جني ، تحقيق / محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، ط ثانية بيروت ٣٣/١.

(٣) لسان العرب ، ابن منظور ، ط الأولى ، بيروت ، دار صادر ٢ /٥٧ ٠

(٤) العين ، الخليل بن أحمد ، دار مكتبة الهلال ٧ / ١٤٦ ٠

مجراه ، وضرب بالفم . والذي بالفم ضربان : نطق وغير نطق ، وغير النطق كصوت الناي ، والنطق منه إما مفرد من الكلام وإما مركب كأحد الأنواع من الكلام " (١) .

وقد عرفه ابن جني بقوله : " عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته ، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً ، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها " (٢).

ولعل ابن جني تنبه بهذا لدور الفونيم ، وهو التفريق بين الأصوات .

وقرن ابن جني أحياناً الحرف بالصوت فيقول : " قد نجد من الحروف ما يتبعه في الوقف صوت ، وهو مع ذلك ساكن ، وهو الفاء والثاء والسين والصاد ونحو ذلك ، وتقول في الوقف اف ، اث ، اس ، آص " (٣) .

وهكذا نرى أن ابن جني عرف مصطلحي الصوت والحرف معاً،يبدو ذلك واضحاً في قوله: "أذكر أحوال هذه الحروف { حروف المعجم}في مخارجها ومدارجها ، وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها ومهموسها ، وشديدها ورخوها ، وصحيحها ومعتلها ، ومطبقها ومنفتحها، وساكنها ومتحركها ، ومضغوطها ومهتوتها ، ومنحرفها ومشربها ومستويها ومكررها، ومستعليها ومنخفضها إلى غير ذلك من

(١) المفردات في غريب القرآن ، لبنان ، دار المعرفة ١ / ٢٨٨ .

(٢) سر صناعة الإعراب لابن جني ، ط أولى ، دمشق ، دار القلم ١ / ٦ . وسمي هذا الكتاب بهذا الاسم لأنه يكشف عن أسرار تأليف الكلمات من الحروف ، من جمال وقبيح ، فهو في ذلك يحلل أسرار صناعة اللغة العربية .

(٣) الخصائص ٢ / ٣٢٨ .

أجناسها " [1] .

وواضح هنا أنه يقصد من كلمة الحروف " الأصوات " .

ويلتقي تعريف ابن جني للصوت والحرف بتعريف ابن سينا لهما .

ويتلخص في أن الصوت : كيفية تحدث من تموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع، وأن الحروف هيئة عارضة للصوت يتميز بها عن صوت آخر لكن ابن جني زاد الأمر إيضاحًا وتفصيلا فكشف عن نظرية الصوت الساذج حين شبه الصوت اللغوي بالصوت الصادر من الناي .

وابن جني أول من جعل الأصوات علماً ، وأطلق عليها هذا اللفظ الواضح الصريح قبل الغربيين ، ويؤكد هذا قوله: "ولكن هذا القبيل من هذا العلم ؛ أعني علم الأصوات والحروف له تعلق ومشاركة للموسيقى ،لما فيه من صنعة الأصوات والنغم" [2] .

ومن هنا يمكن القول بأن الأوائل من علماء العربية وعلى رأسهم ابن جني أسهموا إسهامات رائعة في وضع الركائز الأولى لعلم الأصوات مما أتاح لهم فرصة التوصل إلى النتائج الصوتية التي اصطلح عليها علماء الأصوات العالميين ، وكذلك أبو الأسود الدؤلي وذلك في الرواية التي تقول أن أعرابياً قرأ الآية القرآنية الكريمة " إن الله بريء من المشركين ورسوله " بكسر لام رسوله بدلاً من ضمها، يفهم منها أن لحن الأعرابي كان لحناً صوتياً مس حركة اللام ، وهي صوت فنشأ عن هذا خطأ في الدلالة ، وهو لحن كان مع أمثال له حافزاً لأبي الأسود الدؤلي على أن يضع نقط الإعراب .

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/٤،٣ والصوت المهتوت هو: صوت الهاء، لما فيه من الضعف والخفاء.

(٢) السابق ١ / ٩ .

ثم إن قوله للكاتب ، وهو يتلو عليه " إذا رأيتني قد فتحت فمي بحرف فأنقط نقطة على أعلاه وإذا ضممت فمي ، فأنقط نقطة بين يدي الحرف ، وإذا كسرت فمي فاجعل النقطة تحت الحرف ، فإن اتبعت شيئاً من ذلك غنة { تنويناً} فاجعل النقطة نقطتين" [1] ٠ ولعل الهدف من وراء صنيع الدؤلي هو المحافظة على أصوات اللغة العربية ، بعيداً عن أي لحن ٠

معالجة القدامى للصوتيات قبل " ابن جني " : ـ

أما عن كيفية معالجتهم للصوتيات فذلك لن يتم إلا من خلال قضايا لغوية أخرى ، وذلك لأن علم الأصوات لم يعرف بهذا الاسم عند العرب إلا في مرحلة لاحقة ، فإنه لم يغب عن مصنفات المتقدمين من علماء العربية نحوها وصرفها وعروضها وبلاغتها وموسوعاتها الأدبية والطب والحكمة والموسيقى والقراءة والتجويد ... ذلك أنه مازج هذه العلوم المختلفة وداخَلَها حتى لا تكاد تقع على كتاب فيها يخلو من كلام في علم الأصوات أو أثارةٍ منه ٠

أولاً : علماء المعاجم : -

فهم أقدم من تحدث عن الصوتيات من العرب ، والمتأمل في معجم العين " للخليل ابن أحمد " يرى أن معجمه هذا من أهم الدراسات الصوتية ، وخاصة مقدمته التي تنم عن حس لغوي دقيق ، فلقد أحسّ الخليل بكثير من جوانب المشكلة الصوتية ، إذ تحدث عن مخارج الحروف وصفاتها من همس وجهر وشدة ورخاوة ونحوها ، وعما يحدث للصوت في بنية الكلمة من تغيير يفضي إلى القلب أو الحذف أو الإعلال أو الإبدال أو الإدغام ، وذكر عدداً من القوانين الصوتية ، وعدداً من المسائل الصوتية واللهجية والقراءات ، وقد رتب معجمه على أساس صوتي ، وقد رتبها على

(١) مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوي ، تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط الثانية ، مصر ١٩٧٤م ص٢٩ والآية رقم (٣) من سورة التوبة ٠

النحو التالي : (ع ح هـ خ غ ، ق ك ، ج ش ض ، ص س ز، ط د ت ، ظ ذ ث ، ر ل ن ، ف ب م ،و ا ي ء). وهذا يعني أن الخليل قسم الحروف إلى مجموعات ،وأعطى كلاً منها اسماً خاصاً،"فالعين والحاء والخاء والغين حلقية لأن مبدأها من الحلق ، والقاف والكاف لهوية لأن مبدأها من اللهاة، واعتمد في وصفه للأصوات على ما يحسه بنفسه من اختلاف في أوضاع أعضاء النطق معها، وعلى العملية العضوية التي يقوم بها المرء عند صدور كل صوت ، وعلى وقع هذا الصوت في أذن السامع دون أن يكون لديه شيء من الإمكانات الحديثة من آلات تسجيل أو تصوير أو معرفة بنظريات التشريح " [١].

وقد تبع الخليل كثير من أصحاب المعاجم في هذا الترتيب .

ثانياً : علماء النحو : -

اهتم علماء النحو بالصوتيات اهتماماً بالغاً ، لأنها وسيلة مباشرة وأساسية لدراسة علم الصرف ، فهذا سيبويه يتحدث في باب الإدغام عن عدد حروف العربية ومخارجها وصفاتها، ثم يقول في نهاية الباب "وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام ، وما يجوز فيه ،وما لا يحسن فيه ذلك، ولا يجوز فيه ، وما تبدله استثقالاً كما تدغم، وما تخفيه، وهو بزنة المتحرك " [٢] .

وقد فصل النحاة القول في وصف مخارج الحروف وصفاتها فرادى ، ثم تناولوا بالدراسة ما رأوه فيها داخلاً في حيّز الإدغام ، كما فهموه ، وذلك مثل إدغام المتماثلين مخرجاً والمتقاربين مخرجاً والمشتركين في طرف اللسان ، ثم الإدغام

(١) الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ، ط الخامسة ، مكتبة الأنجلو المصرية١٩٧٩ ص١٠٥،١٠٤ .

(٢) الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م ، ٤ /٤٣٦ .

بالصفة مثل إدغام المجهور والمهموس معاً بأن يصيرا معاً إلى الجهر أو إلى الهمس وبعض أمثلة القلب ، وبعض الأمثلة الشاذة [١] .

وجاء ترتيب سيبويه للحروف على النحو التالي : (ء ا هـ ع ح غ خ ك ق ض ج ش ي ل ر ن ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف ب م و) .

وجعل لهذه الحروف ستة عشر مخرجاً ، للحلق منها ثلاثة ، وفي كل منها صوتان دون القصد إلى ترتيبهما كما يفعل المحدثون ، وخصص لأصوات الفم ثلاث مناطق في أقصاه وأدناه ووسطه ، وحدد لكل صوت أو مجموعة من الأصوات مخرجاً معيناً، ووصفه وصفاً دقيقاً ، وميز بين الشديد والرخو ، وبيَّن المجهور والمهموس على خلاف في بعض الحروف مع ما تقره الدراسات المعاصرة، فهو مثلاً يعد الضاد رخوة ، وهي شديدة .

ويعد القاف والطاء مجهورين، وهما مهموستان . ولعله بذلك خالف ترتيب الخليل في بعض المواضع ،ثم تتابعت كتب النحو واللغة بعد سيبويه تنحو نحوه وتقفوا أثره في تخصيص حيّز للدراسات الصوتية مرددةً تعبيراته ومصطلحاته في كل ما يتعلق بمخارج الحروف وصفاتها[٢] وأقدم ما وصل إلينا ، المقتضب " للمبرد " [٣] ، والأصول في النحو

(١) اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، ط الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٧٩م ص١٥ .

(٢) الأصوات اللغوية ، د / إبراهيم أنيس ، الأنجلو المصرية ، ط الخامسة ١٩٧٥ م ، ص ١٠٥، والبحث اللغوي عند العرب ١٠٦، وأثر القراءات في الأصوات ، د / عبد الصبور شاهين ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ط أولى ١٩٨٧ م ، ص ١٩٨ .

(٣) المقتضب للمبرد ، تحقيق / محمد عبد الخالق عضيمه ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٦٣م ١٩٢/١، ١٩٦.

"لابن السراج " [١] ، والجمهرة "لابن دريد" [٢]،والجمل " للزجاجي"[٣]،وتهذيب اللغة " للأزهري"[٤].

وتلا ذلك كله كتاب المفصل " للزمخشري " الذي نسج على منوال " سيبويه " أيضاً فختم كتابه بباب الإدغام مستهلاً بذكر حروف العربية ومخارجها وصفاتها[٥]. وكان بهذا المادةَ الصوتية التي بنى عليها " ابنُ يعيش " شرحَهُ الغنيَّ بالدراسة الصوتية[٦]. ولا يكاد يدانيه في ذلك إلا " الرضيُّ الأَسْتَراباذي" في شرحه للشافية حيث تداخل علم الصوت بعلم الصرف[٧].

ثالثاً : علماء البلاغة :-

"عرف الجاحظ بعض الأمراض اللغوية ، ونجد في كتابه { البيان والتبيين } خاصة معالجة علمية دقيقة للأصوات التي تدخلها اللثغة ،وقد أدرك صلة الأمراض اللغوية بالمجتمع ، فدرس التلعثم على ثلاثة مستويات اجتماعية هي مستويات الفصحاء والعوام والأعاجم ، وعرف اختلاف اللهجات ،ودرس التبدلات

(١) الأصول في النحو لابن السراج ، تحقيق دكتور /عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ٣٩٩/٣ ،٤٠٤ .

(٢) جمهرة اللغة ، دار صادر ، بيروت ١٣٥١ هـ ٦/١، ٩ .

(٣) الجمل في النحو ، تحقيق / علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ٤٠٩ ، ٤١٣ .

(٤) تهذيب اللغة ، تحقيق / عبد السلام هارون وآخرين ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م ، ٤٨/١ ، ٥١ .

(٥) المفصل في علم العربية للزمخشري ، دار الجيل ، بيروت ، ط الثانية ٣٩٣ ، ٤٠٥ .

(٦) شرح المفصل ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ١٢٣/١٠ ، ١٣١.

(٧) شرح الشافية ، تحقيق / محمد نور الحسن ، والزفزاف ، وعبد الحميد ، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥م ٢٢٠/٣ ،٢٦٤ .

الصوتية للغة العربية عند الأعاجم، وهذا ما نبهت عليه الدراسات الحديثة ، كما أشار إلى اقتران الحروف فرأى مثلاً أن الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا بتأخير ، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا بتأخير " [١] .

رابعاً : علماء التجويد : -

قد اعتنوا بالإدغام عناية خاصة ، وأفاضوا فيه ، يدفعهم إلى ذلك كله حرصهم على إتقان ترتيل كتاب الله – سبحانه وتعالى – وتجويد نطقه ، وعنايتهم بالأصوات أدت إلى ظهور مراتب التجويد من ترتيل وتدوير وحدر ، وظهور مصطلحات صوتية مهمة في وقت مبكر كالإشمام والروم والاختلاس والإمالة والتخفيف والتفخيم [٢] .

" وأول من صنف فيه . على ما يبدو . موسى بن عبيد الله ابن خاقان صاحب القصيدة الخاقانية في التجويد ، وهي تضم واحداً وخمسين بيتاً في حسن أداء القرآن الكريم " [٣] .

ومن هنا يمكن القول بأن علماء التجويد قد وُسِمَتْ مصنفاتهم بأنها أكثر

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق / عبد السلام هارون ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١/٣٤ ، ٣٥ ، ٦٩ .

(٢) شرح المقدمة الجذرية في علم التجويد لزكريا الأنصاري تحقيق محمد غياث ، الناشر/ المحقق طبع في مطبعة الشام ، الطبعة الرابعة ١٤١٢هـ /١٩٩٢م ص٦٠ .

(٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى بن عبد الله الرومي المعروف بحاج خليفة، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م ١/٣٥٤ ، وهذه القصيدة موجودة في " تاريخ التراث العربي" دكتور/ فؤاد سزكين ، ترجمة دكتور / محمود حجازي ، ودكتور / فهمي أبو الفضل الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٧ م ١/ ٢٩ ،٣٠ .

الكتب احتفاءً بالمادة الصوتية ؛ وذلك لابتغائها الدقة في تأدية كلمات القرآن الكريم قراءةً وتدويناً إلى حدٍّ جعل بعض الباحثين يذهبون إلى أن هذه العلوم انفردت بالدرس الصوتي.

خامساً : علماء القراءات : -

اعتنى جل علماء القراءات بالمسائل الصوتية ، لما لها من أهمية كبيرة في قراءات القرآن الكريم ، خاصة وأن هذه القراءات نقلت بطريق التواتر والمشافهة ، ومنهم " ابن خالويه " في قوله تعالى :" فيه هدى" [١] يقرأ بالإدغام والإظهار ، فالحجة لمن أدغم مماثلة الحرفين لأن الإدغام على وجهين مماثلة الحرفين ومقاربتهما ، فالمماثلة كونهما من جنس واحد ، والمقاربة أن يتقاربا في المخرج كقرب القاف من الكاف ، والميم من الباء واللام من النون ، وإنما وجب الإدغام في ذلك لأن النطق بالمتماثلين والمتقاربين ثقيل ،فخففوه بالإدغام، إذ لم يمكن حذف أحد الحرفين [٢] .

سادساً : الفلاسفة والأطباء والحكماء : -

تناول ابن سينا حروف العربية حرفاً حرفاً مبيّناً سببَ حدوثِها وما يعتري كلاً منها من عمليّات عضوية تتبدّى في دفع الهواء ، وحبسه ، وكيفية هذا الحبس، والوسط الذي يتردّد فيه الهواء المدفوع من رطوبةٍ أو يُبُوسة أو ما إلى ذلك .

وقد فرق ابنِ سينا بين الواو والياء الصامتتين ، والواو والياء المصوتتين ، ثم بين العلاقة بين المصوّتات الطويلة والمصوّتات القصيرة وحاول

(١) سورة البقرة أية رقم (٢) .

(٢) الحجة في القراءات السبع ، تحقيق د/ عبد العال سالم مكرم ، الطبعة الثالثة ، بيروت دار الشروق ١٩٧٩م ، ص ٦٣ .

تحديد زمن حصول كلّ منها [١] .

كما أنه تحدث عن الحروف الشبيهة بهذه الحروف وليست في لغة العرب ، حيث عرض لحروف أعجمية (فارسية ويونانية وتركية) تشبه بعض حروف العربية مثل G وV وP [٢].

ومن أقدم ما وصل إلينا في ذلك قول الفارابي: في كتابه الموسيقي الكبير " التصويت الإنساني يحدث بسلوك الهواء في الحلوق وقرعه مقعرات أجزاء الحلوق وأجزاء سائر الأعضاء التي يسلك فيها ، مثل أجزاء الفم وأجزاء الأنف .

وهذا الهواء هو الذي يجذبه الإنسان إلى رئتيه وداخل صدره من خارج ليروح به عن القلب ، ثم يدفعه منها إذا سخن إلى الخارج .

فإذا دفع الإنسان هواء النفس إلى خارج جملة وترفق لم يحدث صوت محسوس ، وإذا حصر الإنسان هذا الهواء في رئتيه وما حواليها من أسفل الحلق ، وسرب أجزاءه إلى الخارج شيئاً فشيئاً على اتصال ، وزحم به مقعر الحلق وصدم أجزاءه حدثت حينئذ نغم بمنزلة ما يحدث بسلوك الهواء في المزامير ، فإذا ضيق مسلكه كانت النغمة أحدّ ، وإذا وسع كانت النغمة أثقل ..... واستقصاء أمر الأشياء المعنية بهذه الجهات من المسوطات فليس يحتاج إليه في هذه الصناعة " [٣] .

---

(١) أسباب حدوث الحروف ، تحقيق / محمد حسان الطيان ، ويحيى مير علم ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ط أولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ٧٢ ، ٨٥ .

(٢) السابق ٨٦ ، ٩٢ .

(٣) كتاب الموسيقي الكبير ، تأليف الفيلسوف / أبي نصر الفارابي ، تحقيق / غطاس خشبه، مراجعة الدكتور/ محمود الحفني ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ص ١٠٦٦ .

سابعاً : عند اليونان والرومان والهنود : -

لقد أُثِر عن قدماء اليونان كأفلاطون وأرسطو من ملاحظات صوتية متناثرة ، وكذا ما ورد عن قدماء الرومان أمثال بريسكيان وترنتيانوس . أما الهنود فكانوا أكثر اتساعاً وأعمق أثراً في آرائهم الصوتية،وهم أول من نظر إلى الدراسات الصوتية على أنها فرع مستقل من فروع علم اللغة،واشتهر منهم بانيني بكتابه المسمى Ashtadhyayi [1].

من خلال ما سبق عرضه من كيفية معالجة القدامى لعلم الصوتيات يتضح لنا أن عنايتهم بهذا العلم كانت سعياً وراء تحقيق غرض نبيل وهو المحافظة على كتاب الله – سبحانه وتعالى – وصيانته من اللحن .

دور " ابن جني " في الأصوات :-

بقراءة جادة في مؤلفاته وخاصة "سر صناعة الإعراب " تأكد لنا أنه هو المبتكر الأول لعلم الأصوات ،فقد بحث في الأصوات وعدد القول فيها ،وقسمها إلى العديد من الأقسام ، وتحدث عن الأمور التي قد تعرض لهذه الأصوات من حذف وإعلال وإبدال إلى أخر ما يعتري هذه الأصوات .

ولا تقتصر جهوده الصوتية على ما في سر الصناعة وإنما تتعدّاه إلى كتبه الأخرى ، وفي مقدمتها الخصائص الذي تضمن مادة صوتيةً غنيّةً جاء بعضها منثوراً في تضاعيف الكتاب[2] ، وأُفرد بعضها الآخر في أبواب مستقلة مثل باب في كمية الحركات، وباب في مطل الحركات ، وباب في مطل الحروف...[3] .

---

(١) البحث اللغوي عند العرب ، دكتور / احمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٢) الخصائص ١/٥٧ – ٥٩ " كلامه على حروف الهمس" .

(٣) السابق ٣/١٢٠ ، ١٣٣ .

ويتلخص منهجه الصوتي في بيان الأحوال العامة لحروف المعجم من حيث بيان "مخارجها ومدارجها ، وانقسام أصنافها ، وأحكام مجهورها ومهموسها ، وشديدها ورخوها ، وصحيحها ومعتلها ، ومطبقها ومنفتحها ، وساكنها ومتحركها ، ومضغوطها ومهتوتها، ومنحرفها ومشربها، ومستويها ومكررها ، ومستعليها ومنخفضها ، إلى غير ذلك من أحكامها وأجناسها " (١) .

ونلاحظ هنا أنه ذكر الخصائص والصفات العامة لكل حرف ، كما أنه فرق بين الحروف والحركات فيقول : " وأذكر فرق مابين الحرف والحركة ، وأين محل الحركة من الحرف ، هل هي قبله أو معه أو بعده ؟ وأذكر أيضاً الحروف التي هي فروع مستحسنة ، والحروف التي هي فروع مستقبحة ، والحركات التي هي فروع متولدة عن الحركات ،كتفرع الحرف من الحرف . وأذكر أيضاً ما كان من الحروف في حال سكونه له مخرج ما، فإذا حرك أقلقته الحركة ، وأزالته عن محله في حال سكونه ، وأذكر أيضاً أحوال هذه الحروف في أشكالها ، والغرض في وضع واضعها ، وكيف ألفاظها ما دامت أصواتاً مقطعة ، ثم كيف ألفاظها إذا صارت أسماء معربة ، وما الذي يتوالى فيه إعلالان بعد نقله. مما يبقى بعد ذلك من الصحة على قديم حاله ، وما يمكن تركبه ومجاورته من هذه الحروف مما لا يمكن ذلك فيه ، وما يحسن وما يقبح فيه ما ذكرنا ، ثم أفرد فيما بعد لكل حرف منها باباً أغترف فيه ذكر أحواله وتصرفه في الكلام من أصليته وزيادته ، وصحته وعلته ، وقلبه إلى غيره ، وقلب غيره إليه " (٢) .

ويستطرد قائلاً : " سبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن نأتي به ساكناً لا

(١) الخصائص ١ / ٤ .
(٢) السابق ١ / ٤ ، ٥ .

متحركاً ، لأن الحركة تقلق الحرف عن موضعه ومستقره، وتجتذبه إلى جهة الحرف التي هي بعضه ، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله ،لأن الساكن لا يمكن الابتداء به، فنقول : اك ، اق ، اح ، وكذلك سائر الحروف ، إلا أن الحروف أشد حصراً للصوت من بعضها ، ألا تراك تقول في الدال والطاء واللام : اد ، اط ، ال ، ولا تجد للصوت منفذاً هناك.." (١) .

ونلاحظ هنا إدراك ابن جني الواضح لأهم ما يميز الحروف الصامتة من الصائتة ، فالصامتة قد يقف هواؤها وقوفاً تاماً فلا تجد للصوت منفذاً هناك ، والصائتة {حروف المد} يمتد فيها الهواء في مجراه ويستمر في الامتداد لا يمنعه شيء حتى ينتهي بانتهاء نطق الصوت نفسه ، ولعل هذا التميز يوافق ما تجري عليه الدراسات اللغوية المعاصرة.

ولم يكتف ابن جني بالتفريق بين الصامت والصائت ، ولكنه فصل القول في الصوائت بقوله :"اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين ، وهي الألف والياء والواو فكما أن هذه الحروف ثلاثة ، فكذلك الحركات ثلاث وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو ، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة"(٢).

ويتضح من هذا النص أن الحركات أوضح على السمع من الحروف، وفي ذلك يقول ابن جني: "ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه " (٣) .

---

(١) سر الصناعة ١/ ٧ ، ٨ .

(٢) السابق ١ / ١٩، والخصائص ٢ / ٣١٥ .

(٣) سر الصناعة ١ / ٢٠ .

وبهذا العرض الدقيق للفرق بين الحرف والحركة عند ابن جني يلاحظ القارئ مدى العمق الصوتي عنده ، وبيان مهمة الفكر الصوتي في تحقيق المصطلحات بعامة ، عن طريق تشخيص المسميات التي اسماها ٠

الحركات الفرعية عند " ابن جني " : ـ

ذكرها بقوله :" وهناك حركات فرعية أخرى كالتي بين الفتحة والكسرة والتي بين الضمة والكسرة ومحصولها على الحقيقة ست حركات "وهي عند المحدثين ثلاثاً في الوظيفة والتمييز بين المعاني ، ولكنها في النطق تسع ، ذلك أن كل حركة يصيبها التفخيم أو الترقيق ، وقد تكون في مرتبة متوسطة بينهما ، وإذا عددنا حروف المد حركات طويلة كان لنا من كل حركة ست صور ويصبح مجموع الحركات عندئذ ثماني عشرة (١).

مخارج الحروف عند " ابن جني" :

حصر ابن جني مخارج الحروف في ستة عشر مخرجاً (٢)، ناظراً إلى موقعها في أجهزة النطق ، وهي كالأتي :

١. من أسفل الحلق وأقصاه، مخرج الهمزة والألف والهاء.
٢. ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء .
٣. ومما فوق ذلك من أول الفم مخرج الغين والخاء.
٤. ومما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف .
٥. ومن أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف.
٦. ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء.
٧. ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد.

(١) علم اللغة العام " الأصوات " د / كمال بشر ص ١٤٨ ، ١٤٩ ٠
(٢) الخصائص ١/ ٤٦ ، ٤٧ ٠

٨. ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام.

٩. ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون.

١٠. ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء .

١١. ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء.

١٢. ومما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاي والسين.

١٣. ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء.

١٤. ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء .

١٥. ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو.

١٦ـ ومن الخياشيم مخرج النون الخفية ويقال الخفيفة أي الساكنة فذلك ستة عشر مخرجا .

ونلاحظ هنا أنه اسقط الجوف ، في حين جعل بعض العلماء المخارج سبعة عشر مخرجاً بإضافة " الجوف " وأصواته عندهم ، هي حروف المد " الألف والواو والياء " والواقع أن هذا المخرج لا محل له هنا ؛ لأنه خاص بالحركات " حروف المد ، حركات طويلة " ونحن في معرض الكلام على مخارج الأصوات الصامتة ، لا الحركات [١] .

وأكثر العلماء يفضلون ما توصل إليه ابن جني في تقسيم مخارج الحروف فمثلاً الدكتور/ كمال بشر يقول : " وقد تكلم الكثيرون منهم عن المخارج ، كالخليل بن أحمد وسيبويه وابن جني وغيرهم ، ونحن نلاحظ أن هناك اضطراباً واضحاً في

(١) علم اللغة العام " الأصوات العربية " دكتور / كمال بشر مكتبة الشباب ١٩٩٠ ص ٩٣ .

كلام الخليل عند مناقشة مخارج الحروف ، وبالرغم من الدقة النسبية في ترتيب سيبويه للأصوات وتوزيعها على مخارجها ، فنحن نفضل ما أتى به ابن جني في هذا المقام لتفوقه على سيبويه في هذه المسألة "[١] .

أما ترتيب الحروف عنده ، فقد جاء علي النحو الأتي : –

الهمزة ، الألف، الهاء، العين ، الحاء ، الغين ، الخاء ، القاف ، الكاف ، الجيم ، الشين، الياء ، الضاد ، اللام ، الراء ، النون ، الطاء ، الدال ، التاء ، الصاد، الزاي، السين ، الظاء، الذال ، الثاء ، الفاء ، الباء ، الميم ، والواو .

وربما بدا هذا الترتيب مخالفاً لترتيب الخليل وسيبويه وقد اعترف " ابن جني " بذلك فقال :" فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها ، وهو الصحيح ، فأما ترتيبها في كتاب العين ففيه اضطراب ، ومخالفة لما قدمناه آنفاً مما رتبه سيبويه وتلاه أصحابه عليه، وهو الصواب الذي يشهد التأمل له بصحته" [٢].

الحروف المستحسنة والحروف المستقبحة : -

ويضيف ابن جني إتماماً لنظريته في الأصوات : ستة أحرف مستحسنة على حروف المعجم العربي ، وثمانية أحرف فرعية مستقبحة ، ولا يصح ذلك عنده إلا بالسمع والمشافهة ، حتى تكون حروف المعجم مع الحروف الفرعية المستحسنة خمسة وثلاثين حرفاً، وهما مع الحروف الفرعية المستقبحة ثلاثة وأربعون حرفاً .

فالحروف المستحسنة عنده ، يؤخذ بها في القرآن الكريم وفصيح الكلام ، وهي :

"النون الخفيفة ، ويقال الخفية ، والهمزة المخففة ، وألف التفخيم ، وألف الإمالة ، والشين التي كالجيم ، والصاد التي كالزاي ٠

(١) علم الأصوات ص ١٨٩ ، دار غريب بالقاهرة ٢٠٠٠ م برقم إيداع ١١٦٢٨ ٠

(٢) سر صناعة الإعراب ١ / ٤٥ ، ٤٦ ٠

أما الحروف الفرعية المستقبحة وهي فروع غير مستحسنة ، ولا يؤخذ بها في القرآن الكريم ، ولا في الشعر ، ولا تكاد توجد إلا في لغة ضعيفة مرذولة غير متقبلة وهي الكاف التي بين الجيم والكاف ، والجيم التي كالكاف ، والجيم التي كالشين ، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين ، والطاء التي كالتاء ، والظاء التي كالثاء ، والباء التي كالميم " [١] .

كيفية حدوث الصوت عنده : -

يتحدث ابن جني عن كيفية حدوث الصوت ، واختلاف جرسه ، والفروق المميزة بين الأصوات وما يعترضها أثناء خروجها فيقول : –

"اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً ، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته ، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً ، وتختلف أجراس الحروف بحسب مقاطعها ، وإذا تفطنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك ، ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك، ثم تبلغ به أي المقاطع شئت، فتجد له جرساً ما ، فإن انتقلت عنه راجعاً منه أو متجاوزاً له ثم قطعت ، أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول، وذلك نحو الكاف، فإنك إذا قطعت بها سمعت هنا صدى ما ، فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره، وإن جزت إلى الجيم سمعت غير ذينك الأولين " [٢] .

وقد كشف لنا هذا التحليل للصوت اللغوي عند ابن جني عن ظاهرة حديثة عند الأوربيين ، وهي ظاهرة " المقطع الصوتي " الذي ذهب إليه عالمنا الجليل من قبل ، وأضاف إليه ذائقة كل مقطع ، حيث قال : " وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكناً لا متحركاً ، لأن الحركة تقلق الحرف عن موضعه ومستقره،

(١) سر صناعة الإعراب ١ / ٤٦ .

(٢) السابق ١ / ٦ .

وتجتذبه إلى جهة الحرف التي هي بعضه ، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله، لأن الساكن لا يمكن الابتداء به، فتقول: اك، اق، اج ؛ وكذلك سائر الحروف، إلا أن بعض الحروف أشد حصراً للصوت من بعضها " [١] .

وقد اهتدى ابن جني إلى أسرار المقطع الصوتي من خلال حديثه عن الحركات ، وكيف أنها تتبع الحروف ، وذلك بقوله : " وإنما يعرض هذا الصويت التابع لهذه الحروف ونحوها ما وقفت عليها ، لأنك لا تنوي الأخذ في حرف غيرها ، فيتمكن الصويت فيظهر ؛ فأما إذا وصلت هذه الحروف ونحوها ... فإنك لا تحس معها شيئاً من الصوت كما تجده معها إذا وقفت عليها " [٢] .

وجدير بنا في هذا المقام أن نلمح للمقطع بتعريف موجز .

التعريف البسيط للمقطع هو : " تأليف أصواتي بسيط يتكون منه واحداً أو أكثر من كلمات اللغة ، متفق مع إيقاع التنفس الطبيعي ، ومع نظام اللغة في صوغ مفرداتها "[٣] .

ومن المبادئ الأساسية أن اللغة العربية تبدأ كلماتها بمتحرك واحد ، وتختمها إما بحركة ، فهو المقطع المفتوح ، وإما بصامت ، فهو المقطع المقفل . ومن غير الممكن في العربية أن تبدأ الكلمة بمجموعة من الصوامت ، أو أن يتخلل الكلمة أكثر من صامتين متجاورين ، أو أن تختم الكلمة بمجموعة من الأصوات الصامتة (٤) .

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ٦ ، ٧ .

(٢) السابق ١ / ٧ .

(٣) علم الأصوات برتيل مالمبرج ، تعريب ودراسة د/عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٨٥م ص١٦٤ .

(٤) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، د/ عبد الصبور شاهين ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ١٩٨٧م ص ٤٠٩ .

فحرف صامت + حركة = مقطع ، وهذا هو المقطع القصير ، وقد يضاف إلى هذا حرف صامت ، أو حركة أخرى ، فيكون المقطع طويلاً ، لأنه تجاوز الحد الأدنى من التكوين، وهو الحرف والحركة ، وتخطاهما إلى ثالث ، حركة كان هذا الثالث أم حرفاً .

والعربية عادة تتكون الغالبية العظمى من كلماتها من ثلاثة مقاطع في المادة دون اشتقاقها ، ففي الثلاثي خذ كلمة " ذهب " في ثلاثة مقاطع هي : ذَ – هـ – ب ، وكل مقطع هنا مكون من حرف وحركة كما ترى .

وفي ذلك يقول ابن جني : " ذلك أن الأصول ثلاثة : ثلاثي ، رباعي ، وخماسي. فأكثرها استعمالاً ، وأعدلها تركيباً الثلاثي ، وذلك لأنه حرف يبتدأ به ، وحرف يحشى به، وحرف يوقف عليه .

وليس اعتدال الثلاثي لقلة حروفه حسب ، لو كان كذلك لكان الثنائي أكثر منه ، لأنه أقل حروفاً ... فتمكن الثلاثي إنما هو لقلة حروفه - لعمري - ولشيء آخر ، هو حجز الحشو الذي هو عينه ، بين فائه ولامه ، وذلك لتعادي حاليهما . ألا ترى أن المبتدأ لا يكون إلا متحركاً ، وأن الموقوف عليه لا يكون إلا ساكناً ، فلما تنافرت حالاهما وسطوا العين حاجزاً بينهما ، لئلا يفجئوا الحسّ بضد ما كان آخذاً فيه ، ومنصباً إليه " [١].

ويقول أيضاً : "والمقطع والمقاطع ؛ الجزء من عضو النطق يقطع الصوت ويعترضه " [٢] . ولعله في ذلك متأثرا بما قدمه الخليل في هذا الميدان .

(١) الخصائص ، ط القاهرة ، دار الحديث ١/ ١٠١ ، ١٠٢ .

(٢) سر الصناعة١ / ٦ ، ٧ ، ٩ .

جهاز النطق عند " ابن جني " : -

يتحكم في الصوت عدة أعضاء في جهاز النطق كالوترين الصوتيين واللسان ومناطق التقائه بالحنك في مقدمه أو وسطه أو أقصاه ، وكالتقائه بالأسنان ، كما أن لوضع الشفتين دوراً هاماً في نوع الأصوات وصفاتها ، وللتجويف الأنفي دوره أيضاً في نطق بعض الأصوات مع مراعاة أن النطق يختلف من شخص لآخر ، وقد وصف ابن جني جهاز النطق بقوله : "وقد شبه بعضهم الحلق والفم بالناي، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملس ساذجاً، كما يجري الصوت في الألف غفلاً بغير صنعة ، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة وراوح بين أنامله، اختلفت الأصوات، وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة "(١) .

وفي قول ابن جني وقد شبه بعضهم.... إيحاء بأن هذا التشبيه ليس له ، كما أنه يشير إلى أن الأصوات تختلف فيما بينها تبعاً لأوضاع أعضاء جهاز النطق فيقول : " ونظير ذلك أيضاً وتر العود ، فإن الضارب إذا ضربه ، وهو مرسل سمعت له صوتاً فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدى صوتاً آخر،فإن أدناها قليلاً سمعت غير الاثنين، ثم كذلك كلما أدنى إصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصداء مختلفة ، إلا أن الصوت الذي يؤديه الوتر غفلاً غير محصور تجده – بالإضافة إلى ما أداه وهو مضغوط محصور – أملس مهتزاً ، ويختلف ذلك بقدرة قوة الوتر وصلابته وضغطه ورخاوته ، فالوتر في هذا التمثيل كالحلق، والخفقة بالضرب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق ، وجريان الصوت فيه غفلاً غير محصور كجريان الصوت

(١) سر صناعة الإعراب ١ / ٧٨ .

في الألف الساكنة ، وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع ، واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا "[1].

ونلاحظ هنا أن ابن جني اكتفى عند ذكره لأعضاء النطق بالصدر ، والحلق ، والفم ، والخياشيم ، والأسنان ، والشفتين ، ولكنه أغفل الحديث عن الوترين الصوتيين ، كما فعل كثير من القدماء ، في حين يرى المحدثون : أن لهما دوراً كبيراً في همس الأصوات ، وجهرها .

حديثه عن النبر والتنغيم :-

النبر والتنغيم لهما دورهما في الدلالة ، ولهما أهمية كبرى في بيان خصائص الكلام الإنساني ، والنبر يعني نطق الصوت أو المقطع الصوتي بوضوح نسبي أكثر من وضوح الأصوات التي حوله إذا ما قورن بها ، وله مواضع ودرجات ، كما أن له علامات خاصة في الكتابة الصوتية [2]، والنبر يعني :إعطاء مقطع من بين مقاطع متتابعة مزيداً من الضغط أو العلو [3] .

ولكن هل تحدث ابن جني فيما ذكره من قضايا صوتية عن النبر .

نجده يقول في ذلك : " وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها ، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم : سير عليه ليل ، وهم يريدون ليل طويل ، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها ، وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله طويل أو نحو ذلك ، وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته ، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء

(١) سر صناعة الإعراب ١ / ٤ .

(٢) الأصوات للدكتور / كمال بشر ص٦٢ .

(٣) علم وظائف الأصوات اللغوية { الفونولوجيا} للدكتور / عصام نور الدين ، دار الفكر اللبناني بيروت ص ١١٠ .

عليه، فتقول : كان والله ، رجلاً ! فتزيد في قوة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة ، وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها ، أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك ، وكذلك تقول: سألناه ، فوجدناه إنساناً ! وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه ، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك : إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك ، وكذلك إذا ذممته ،ووصفته بالضيق ، قلت : سألناه ، وكان إنساناً ! وتزوي وجهك ، وتقطبه ، فيغني ذلك عن قولك : إنساناً لئيماً أو لحِزاً أو مبخَّلاً أو نحو ذلك" (١) .

تتفق هذه الألفاظ في معانيها اللغوية حول تطويل الصوت ورفعه ، وفي هذا التقاء مع معنى النبر بمفهومه الحديث ، وهو العملية العضوية التي يقصد منها ارتفاع الصوت وعلوه ، ثم إن قول ابن جني { فتزيد في قوة اللفظ ، وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها}يتفق وحقيقة النبر عند علماء اللغة ، فهو القوة التي نستعملها في نطق الأصوات .

وعلى الرغم من هذه الإشارات الصريحة التي ذكرها ابن جني عن النبر نجد الدكتور/ إبراهيم أنيس يقر بأنه ليس من العلماء القدامى من أشار إلى النبر وذلك بقوله: "ليس لدينا من دليل يهدينا إلى موضع النبر في اللغة العربية كما كان ينطق بها في العصور الإسلامية الأولى ، إذ لم يتعرض له أحد من المؤلفين القدماء " (٢) .

كما أشار إلى ذلك الدكتور / تمام حسان بقوله :" دراسة النبر ودراسة التنغيم في العربية الفصحى تتطلب شيئاً من المجازفة ، ذلك لأن العربية الفصحى لم تعرف هذه الدراسة في قديمها ، ولم يسجل لنا القدماء شيئاً عن هاتين

(١) الخصائص ٢ / ٣٧٠ ، ٣٧١ .

(٢) الأصوات اللغوية ، الأنجلو المصرية ١٩٨٧ م برقم إيداع ٢٩٠٦ / ١٩٨٤ م ، ص ١٧١

الناحيتين " [1] .

أما التنغيم :-

فقد عرف ابن جني التنغيم أيضاً ، وهو من الحقائق الصوتية في اللغات المختلفة ، ومرتبط بالارتفاع والانخفاض في نطق الكلام نتيجة لدرجة توتر الوترين الصوتيين مما يؤدي إلى اختلاف الوقع السمعي ، ومن هنا نجد كلمات كثيرة تتعدد طرق تنغيمها لتؤدي وظائف دلالية مختلفة [2] .

يقول : " لفظ الاستفهام إذا ضامه معنى التعجب استحال خبراً ، وذلك قولك مررت برجل ، أي رجل ، فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل ، ولست مستفهماً ، وكذلك مررت برجل أيما رجل ، لأن ما زائدة " [3] .

وإن لم يقصد بذلك التنغيم صراحة ، ولكنه قصد أن الاستفهام إذا ضامه معنى التعجب لا يحدث إلا بصورة تنغيمية .

نلاحظ هنا أن ابن جني تحدث عن النبر والتنغيم ضمن قضاياه الصوتية ، بغض النظر عن استعماله المسميات الحديثة لهذين المصطلحين .

أثر المسموعات في تكوين الأصوات عند " ابن جني " : –

يتحدث ابن جني عن صدى الصوت في بداية تكوين اللغة ، وأثر المسموعات الصوتية في نشوء الأصوات الإنسانية ، وهو ينقل ذلك عن بعضهم ، ولكنه يذهب إليه باعتباره مذهباً متقبلاً ، ووجهاً صالحاً للتعليل، فيقول: " وذهب بعضهم إلى أن

---

(١) مناهج البحث في اللغة لتمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ١٤٠٠ هـ /١٩٧٩م ص ١٩٧ ، ١٩٨ .

(٢) علم الصوتيات ، د/ عبد العزيز أحمد علام ، د/ عبد الله ربيع محمود ، مكتبة الرشد ، المملكة العربية السعودية ، الرياض بإيداع رقم ٤٦٠٢ /١٤٢٥ م ، ص ٣١٩ .

(٣) الخصائص ٣ / ٢٦٩ .

أصل اللغات إنما هو من الأصوات المسموعات ، كدوي الريح ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، ونهيق الحمار، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الظبي ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات عن ذلك. وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل " [١] .

فهو يربط بين الأصوات الإنسانية ، وبين أصداء الطبيعة حيناً ، وأصوات الكائنات الحيوانية حيناً آخر . " وقد ذهب إلى هذا الرأي معظم المحدثين من علماء اللغة وعلى رأسهم العلامة وتني .Whitney " [٢] .

محاكاة الأصوات عند " ابن جني " : -

حاول ابن جنيالربط بين الصوت والفعل تارة ، وبين الصوت والاسم تارة آخرى فيقول:"فإن كثيرا من هذه اللغة وجدته مضاهياً بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها،ألا تراهم قالوا: قضم في اليابس،وخضم في الرطب . وذلك لقوة القاف وضعف الخاء، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى،والصوت الأضعف للفعل الأضعف "[٣] .

وتجده يلائم بين الصوت اللغوي وعلاقته بصوت الطائر في الاستطالة والقطع ، فالراء مرددة مكررة مستطيلة ، وصوت الجندب مثلاً مستطيل ، فجعلت له { صرّ } مشددة ، وصوت البازي مثلاً متقطع ، فقطعت الراء فكانت {صرصر} فيقول :"وكذلك قالوا {صر الجندب} فكرروا الراء لما هناك من استطالة صوته ، وقالوا { صرصر البازي } لما هناك من تقطيع صوته " [٤] .

وتحقيقاً لهذا فقد أعطى ابن جني المفردات اللغوية ، صفات صوتية

(١) الخصائص١ / ٤٦ ، ٤٧ .
(٢) علم اللغة ، دكتور / علي عبد الواحد وافي ، ط الخامسة ، القاهرة ١٩٦٢ م ، ص ٩٥ .
(٣) الخصائص١ / ٦٥ .
(٤) الخصائص ١ / ١٦٥ .

متمازجة ، فيقول : " قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبها ، وتقديم ما يضاهي أول الحديث ، وتأخير ما يضاهي آخره ، وتوسيط ما يضاهي أوسطه ، سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب، وذلك كقولهم : { بحث } فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض ، والحاء لصلحها تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض ، والثاء للنفث والبث للتراب " [١] .

"ولعله يقصد بقوله :{يضيفون} العرب،وشبيه بهذا ما فعله ابن سينا عندما أراد أن يصف أصوات اللغة العربية سمعياً ، استعان بأصوات الطبيعة التي حولنا .فقد تحدث عن تشابه الأصوات اللغوية مع أصوات طبيعية أخرى غير لغوية ، أي عن إمكانية أن يحدث شبيه صوت لغوي من حركات أو أصوات غير نطقية" [٢].

تأثر الأصوات بعضها ببعض عند ابن جني: –تتأثر الأصوات في أي لغة من اللغات بعضها ببعض في البيئة خلال عملية النطق ، مما يؤدي إلى تغيير مخارج بعضها أو صفاتها ، لكي تتفق في المخرج ، أو الصفة مع الأصوات المجاورة ، واللغة العربية في تطورها التاريخي عرفت هذا اللون من التأثر سواء في الصوامت أو الصوائت ، شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى ، ولعل من أكثر هذه الظواهر استخداماً في اللغة ظاهرة المماثلة بأضربها وأشكالها المتنوعة [٣] .

المماثلة :ـ

(١) السابق ١ / ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٢) علوم الصوتيات عند ابن سينا للدكتور / محمد صالح الضالع ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ص ٤١.

(٣) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، دكتور / رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دار الرفاعي ، الرياض ١٤٠٤ هـ / ١٩٩٨ م ٢٢ ، ٢٣ .

المماثلة في اللغة : يقول ابن منظور مادة { م، ث، ل } : "هذا مِثْلُه ومَثَلُه كما تقول شبه وشَبَهَهُ ، قال ابن بري : وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين ... والمثل : الشبه،تقول: مِثْلٌ ومَثَلٌ ، وشِبْهٌ وشَبَهٌ ، بمعنى واحد" (١) .

أما في الاصطلاح فيراها الدكتور / أحمد مختار عمر : " تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إما تماثلاً جزئياً أو كلياً " (٢) .

وقد آثر المحدثون أن يقسموا المماثلة على ضربين :-

الأول : المقبل أو التأثر التقدمي يعني تأثر الصوت الثاني بالأول.

والآخر : المدبر أو التأثر الرجعي يعني تأثر الصوت الأول بالثاني.

أما الدرس الصوتي عند العرب عرف المماثلة الصوتية، وسميت فيها مسميات عديدة فسماها "سيبويه "المضارعة والتقريب،والذي اتضح من نصوصه أنه استعمل مصطلح المضارعة والتقريب ، بدلاً من المماثلة الصوتية ؛ للدلالة على تأثر الأصوات بعضها ببعض ، وإبدال بعضها من بعض (٣) .

أما عالمنا الجليل والقدير ابن جني فقد عالج هذه الظاهرة تحت ما يسمى بالإدغام الأصغر ، وهو عنده " تقريب الحرف من الحرف ، وإدناؤه من غير إدغام يكون هناك ، وهو ضروب مختلفة " (٤) .

---

(١) لسان العرب { م ، ث ، ل }٤١٣٢/٦ تحقيق الأساتذة / عبد الله علي الكبير ، ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلي ، طبعة دار المعرف .

(٢) دراسة الصوت اللغوي لأحمد مختار عمر ، دار الكتب ، ط الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٠ م٣٢٤ .

(٣) الكتاب ، تحقيق / عبد السلام هارون ، ط الرابعة ، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع القاهرة ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م ، ٤ / ٤٧٧ ، ٤٧٨ .

(٤) الخصائص ٢/ ١٤٣ .

وقد توقف ابن جني معه عند حالات نذكر منها في الأصوات الصامتة ما يلي :

١. فاء افتعل تقع زياً أو دالاً أو ذالاً ، فتقلب التاء لها دالاً نحو ازدان وادعى واذَّكر، ونرى دقة " ابن جني" في تعليله للإدغام في كلمة ادعى. فهو لم يكن قصداً ، إنما قلبت التاء دالاً ، فجاورت الدال الأولى ، فلم يكن من الإدغام بد ، وأما اذّكر ، فقد قلبت تاؤها دالاً ، فأدغمت في الذال لاشتراكهما في صفة الجهر ، فهو إدغام المتماثلين في الصفة (١) .

ويسمى المحدثون هذا النوع من التأثر أو المماثلة في ادعى واذكر بالتأثر المقبل الكلي في حالة الاتصال ، ذلك أن الصوت الأول هو الذي أثر فيما تلاه ، فحدثت مماثلة تامة بينهما وفي حالة ازدان يسمى تأثراً مقبلاً جزئياً في حالة الاتصال ، لأن المماثلة في الصوتين الزاي والدال ليست تامة بل هي في بعض الخصائص ، فكلاهما حرف نطعي مجهور مرقق .

٢. ومن ذلك أن تقع السين قبل الحرف المستعلى فتقرب منه بقلبها صاداً على ما هو مبين في موضعه من باب الإدغام ، وذلك كقولهم في سُقْت : صُقْت ،وفي السوق: الصوق ،وفي سبقت : صبقت، وفي سملق وسوق : صملق وصويق، وفي سالغ وساخط: صالخ وصاخط ،وفي سقر: صقر، وفي مساليخ : مصاليخ .

٣. ومن ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق نحو شعيرٍ وبعيرٍ ورغيفٍ. وسمعت الشجري غير مرة يقول : زئير الأسد يريد الزئير .

٤. ومن ذلك أيضاً قولهم فَعَل يَفْعَل مما عينه أو لامه حرف حلقي نحو سَأَل يسأل وقَرَأ يَقْرَأ وسَعَر يَسعر وقرع يقرع وسَحَل يسحل وسَبَح يَسْبَح ، وذلك أنهم

(١) السابق ٢ / ١٤١ ، ١٤٤ .

ضارعوا بفتحة العين في المضارع جنس حرف الحلق لما كان موضعاً منه مخرج الألف التي منها الفتحة [١] .

ويتضح مما ذكره ابن جني في الأمثلة السابقة أن المماثلة الصوتية في الصوامت تعني تقريب الصوت من الصوت من أجل تحقيق التوافق والانسجام الصوتي . ومن أجل التعديلات التكيفية للأصوات بسبب الجوار .

المماثلة في الصوائت : -

إن اللغات واللهجات تختلف في درجة الميل اختلافا بينا ، إذ إن بعض هذه اللهجات بسبب من طبيعة الأداء البطيء تجنح إلى نطق أصوات الكلمة نطقا متأنيا يسمح لها ذلك نقل اللسان من الضم إلى الكسر ، أو إلى الفتح في أصوات المد المتوالية من غير أن يشعر المتكلم بثقل ذلك على حين تجنح بعض اللهجات ذوات الأداء السريع بوجه عام إلى الإتباع والمجانسة من اجل ألا يثقل عليها الانتقال من موضع إلى موضع آخر بعيد.

ويلحظ بصورة عامة أن القبائل البدوية كانت تميل إلى الإتباع الحركي ، أو الانسجام الصوتي ؛ لأنه يحقق لها السهولة في النطق ويوفر لها مجهودا عضليا ، أما القبائل الحضرية فكانت غير ميالة إليه لحرصها على تحقيق الأصوات في نطقها بسبب التأني في الكلام [٢] .

ومن هنا كان دور المماثلة .

وقد ذكر ابن جني من المماثلة في الصوائت ما يلي : –

١ـ الإمالة : -

---

(١) الخصائص ٢ / ١٤١ ، ١٤٤ .

(٢) في اللهجات العربية ، د / إبراهيم أنيس ، ط الثالثة ، الأنجلو المصرية ١٩٦٥ م ص٩٦ .

وهي ظاهرة صوتية ينحو بها اللسان العربي من الفتحة نحو الكسرة والألف التي بعدها كسرة نحو الياء ؛ وسببها تجانس الصوت بين الكسرة والياء [١] .

وقيل : إنّها لغة بني تميم ، ولغة أهل الحجاز الفتح ، في مثل شاء وخاف ، وعامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس يميلون إلى الكسر من ذوات الياء ويفتحون بذوات الواو[٢].

وقد عني بها علماء النحو المتقدمون مثل الخليل وسيبويه والأخفش وأبي على الفارسي وابن جنّي وفيها يقول : " إنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت وذلك نحو عالم وكتاب وسعى وقضى واستقضى، ألا تراك قربت فتحة العين من عالِم إلى كسرة اللام منه، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة فأملت الألف نحو الياء، وكذلك سعى وقضى، ونحوت بالألف نحو الياء التي انقلبت عنها " [٣] ، وهذا شرح واضح يبدو فيه تأثر حرف المد أو الحرف الصائت بلغة المحدثين ، بكسرة الحرف بعده ، فهو تأثر مدبر جزئي في حالة الانفصال ، لأنه فصل بين الصائتين حرف صامت هو اللام .

وتحصل الإمالة في الأفعال نحو " رمى ، وسعى ، وغزا ،ودعا " وفي الأسماء نحو "تاب"؛ لأن جمعها " أنياب ، ورحى ، ونوى " وفي الأدوات والحروف نحو "كلا و بلا " وفي أسماء الحروف نحو " با ، تا ، نا " وهذا ما ذكره " ابن جني " من إمالة في تلك للدلالة على القياس الذي ذهب إليه " أبو علي " فقال : وأنا أذكر وجه الإمالة في

(١) سر صناعة الإعراب ، ابن جني ، دراسة وتحقيق ، د/ حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤ م ١/ ٥٢ .

(٢) شرح المفصل ، ابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت ، ٥٤/٩ .

(٣) الخصائص ٢ / ١٤١ ، والتصريف الملوكي لابن جني ، تحقيق / محمد سعيد النعسان ، دمشق ١٩٧٠ ص ٩٨ .

هذه الحروف ، وأدل على صحة القياس الذي ذهب إليه أبو علي . أما إمالتهم إياها وهي حروف تَهج فَّليس ذلك لأنها منقلبة عن ياء ولا غيرها ، وذلك أَنّها حينئذ أصوات غير مشتقة ولا متصرفة ، ولا انقلاب في شيء منها لجمودها ، ولكن الإمالة فيها حينئذ إّنما دخلتها من حيث دخلت " بلى " وذلك أنّها شابهت بتمام الكلام واستقلاله بها وعنها عما بعدها الأسماء المستقلة بأنفسها ، فمن حيث جازت إمالة الأسماء كذلك أيضاً جازت إمالة " بلى " لكونها جوابا مستقلاً إلى شيء بعدها فلما قامت بنفسها ، وقويت ، لحقت في القوة بالأسماء في جواز إمالتها كما أميل نحو " أنَّى ومتى " وكذلك أيضا إذا قلت : " با، تا، ثا " قامت هذه الحروف بنفسها ، ولم تحتج إلى شيء يقويها ، ولا إلى شيء من اللفظ تتصل به، فتضعف وتلطف لذلك الاتصال عن الإمالة المؤذنة بقوة الكلمة وتصريفها [1].

ومن هذا العرض يتضح أن حديث ابن جني عن الإمالة أثناء بحثه في حروف الهجاء كان حديثاً شاملاً ، وفنياً ، ودقيقاً ، فلم يقتصر عرضه للموضوع على تصور القدماء قبله ، وإنما ألقى نظرات فاحصة على جوانب المشكلة فأوضحها وكشف أسرارها وفصل القول في ذلك بتحليل لغوي مستمد من الواقع الصوتي للغة العربية ، فعلى الرغم من أن القدماء قبله قصروا حديثهم عن إمالة الفتحة نحو الكسرة ،حتى قيل في تعريفها : أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة ، فتميل الألف إن كان بعدها ألف نحو الياء ، فقد أضاف " ابن جني " جديداً إلى هذا الموضوع ، " وهو بذلك قد فتح الطريق أمام المحدثين ليقولوا كلمتهم بحسب نظريات علم الأصوات "[2] .

(١) سر الصناعة ٢/ ٧٩٤ .

(٢) عبقري اللغويين ابن جني ، للأستاذ الدكتور / عبد الغفار هلال ٤٠٣ ، نقلاً عن في اللهجات العربية ، د/ أنيس ٥٤ – ٥٩ .

وذكر المحدثون لها أسباباً عدة ، وجعلوا السبب الرئيسي منها هو التناسب يقول الأشموني : " أعلم أن الغرض الأصلي منها هو التناسب ، وقد ترد للتنبيه على أصل أو غيره كما سيأتي ، وذلك أن النطق بالفتحة والألف تصاعد واستعلاء وبالكسرة والياء انحدار وتسفل ، فإذا أملت الألف قربت من الياء وامتزج بالفتحة طرف من الكسر، فتصر الأصوات من نمط واحد في التسفل والانحدار " (١) ، وهذا هو ما عبر عنه عالمنا ابن جني بقوله : " لضرب من تجانس الصوت " (٢) .

كما تحدث ابن جني عن الإمالة بين الحركات الطويلة والقصيرة بالإضافة لما عرض له مما هو خاص بحروف المد وما يعتريها من تجانس ، ويفرد تقسيمات لها ويحللها ويضرب عليها الأمثلة فهو يتحدث من واقع اللغة عن إمالة الحركة التي بعدها حرف مد .

كما يتحدث عن إمالة الحركة التي ليس بعدها حرف مد ، أي عن إمالة الحركات بعضها إلى بعض فقط من خلال نطق نماذج صحيحة في العربية ومن أمثلة الأول قوله : " أما الفتحة المشوبة بالكسرة فالفتحة التي قبلها الإمالة نحو فتحة عين عابد وعارف . وذلك أن الإمالة إنما هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل الألف التي بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصوت .فكما أن الحركة ليست فتحة محضة فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفاً محضة ، وهذا هو القياس ، لأن الألف تابعة للفتحة فكما أن الفتحة مشوبة فكذلك الألف اللاحقة لها " (٣).

(١) السابق ٤٠٣ ، نقلاً عن الأشموني ٤ / ٢٢٠ ، ١ ٢٢ .

(٢) السابق نفس الصفحة ، نقلاً عن سر صناعة الإعراب ١ / ٥٨ .

(٣) سر صناعة الإعراب لابن جني ، تحقيق / مصطفى السقا ، ومحمد الزفزاف ، وإبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين ، الطبعة الأولى ، دار نشر إدارة الثقافة العامة بوزارة المعارف ، دائرة إحياء التراث القديم ، مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م ١ / ٥٢

أما إمالة الحركات فقط أي الحركات التي ليس بعدها حروف مد فهو يتحدث عنها كذلك صراحة ، بكل أنواعها سواء في ذلك الحركات الأمامية الضيقة أو الخلفية الضيقة أو المتسعة {أي أنه يتعرض لدراسة الحركات الطويلة والقصيرة معاً } .

يقول :" واعلم أنك كما قد تجد هذه المضارعة وهذا التقارب بين الحروف فقد تجده أيضاً بين الحركات ، حتى إنك تجد الفتحة مشوبة بشيء من الكسرة أو الضمة منحوا بها إليهما ، وتجد الكسرة أيضاً مشوبة بشيء من الضمة ، والضمة مشوبة بطرف من الكسرة " (١) .

ثم يذكر نوعاً آخر من إمالة الحركات وهو الكسرة المشوبة بالضمة يقول : " فأما الكسرة المشوبة بالضمة فنحو : { قيل ، وبيع ، وغيض ، وسيق } وكما أن الحركة قبل هذه الياء مشوبة بالضمة فالياء بعدها مشوبة بروائح الواو على ما تقدم من الألف" (٢) .

فكسرة القاف في { قيل } إميلت نحو الضمة ، وكسرة الياء في { بيع } إميلت نحو الضمة ، وكسرة الغين في { غيض } إميلت نحو الضمة ، وكسرة السين في { سيق } إميلت نحو الضمة ، فالحركة التي قبل الياء وهي الكسرة صارت مشوبة بالضمة فكذلك صارت الياء التي بعدها مشوبة بروائح الواو فهنا دقة في وصف الظاهرة وتحليلها ومتابعة لها في أوضاعها وأمثلة من نطق العرب جمعها من أقوالهم .

وعن نوع آخر من الإمالة يقول : " وأما الضمة المشوبة بالكسر فنحو قولك في الإمالة : { مررت بمذعور = عير } : و { هذا ابن بور = بير }

---

(١) السابق ١ / ٥١ .

(٢) السابق ١ / ٥٣ .

نحوت بضمة العين والباء نحو كسرة الراء فأشممتها شيئاً من الكسرة "[1].
وكذلك الواو التي بعدها صارت مشوبة برائحة الياء .

فمن خلال تتبعه لظاهرة الإمالة تتبعاً علمياً دقيقاً رصد حالاتها وضرب الأمثلة موضحاً في استقصاء ينبئ عن تمكن من اللغة وفهم لروحها .

ثم يقف ابن جني وقفة تساؤل وتحليل يصف من خلالها العمليات العضلية الدقيقة الخاصة بمثل هذه النطوق رابطاً الملاحظة بالتجربة يقول : " فإن قيل لم جاز بالفتحة أن ينحى بها نحو الكسرة والضمة وفي الكسرة أن ينحى بها نحو الضمة ، وفي الضمة أن ينحى بها نحو الكسرة على ما قدمت ومثلت ولم يجز في واحدة من الكسرة ولا الضمة أن ينحى بها نحو الفتحة .

فالجواب في ذلك :

أن الفتحة أول الحركات وأدخلها في الحلق ، والكسرة بعدها والضمة بعد الكسرة ، فإذا بدأت بالفتحة وتصعدت تطلب صدر الفم والشفتين اجتازت في مرورها بمخرج الياء والواو – فجاز أن تشمها شيئاً من الكسرة أو الضمة لتطرقها إياها . ولو تكلفت أن تشم الكسرة أو الضمة رائحة من الفتحة لاحتجت إلى الرجوع إلى أول الحلق فكان في ذلك انتقاص عادة للصوت بتراجعه إلى ورائه ، وتركه التقدم إلى صدر الفم والنفوذ بين الشفتين . فكما أن إشمام الكسرة أو الضمة رائحة الفتحة هذا الانقلاب ترك ذلك فلم يتكلف البتة " [2] .

وما ذكره ابن جني بهذا الصدد له ما يبرره من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة [3].

(١) سر صناعة الإعراب ١ / ٥٥ .
(٢) سر الصناعة ١ / ٥٥ .
(٣) في علم الأصوات اللغوية وعيوب النطق ، د / بدراوي زهران ، طبعة دار المعارف ، الطبعة

ومن بين التفسيرات التي جاءت لظاهرة الإمالة عند علماء العربية في القديم [١]:

إمالة الإمالة : -

{ يقصد إمالة لإمالة أي لتجانس الصوتين } الكسرة قبل الألف نحو { عماد } و{ كتاب } أمليت الألف بكسرة العين والكاف ٠ أي أن الكسرة في الحرف الأول أميلت من أجلها فتحة الميم في كلمة { عماد } فلما أميلت فتحة الميم أميلت الألف..... للمد التي بعد الميم من أجل إمالة كسرة الميم فحدثت الإمالة من أجل الإمالة وكذلك أميلت بكسرة كاف { كتاب } فتحة التاء التي بعدها فأميلت الألف المد التي بعدها التاء لهذه الإمالة وهذا التحليل والتمثيل لنماذج منطوقة ولأقوال من أفواه العرب ٠

والمثال الثاني بعد هذه الحالة تخالف الحالة السابقة حيث كانت الكسرة المتقدمة هي سبب الإمالة – أما الحالة التالية فسببها الكسرة المتأخرة ٠

وأخيراً يمكن القول بأن الإمالة ضربا من ضروب المماثلة ، وصفة لهجية لقبائل وسط الجزيرة وشرقيها مثل : تميم، وقيس ، وأسد ، وأكثر أهل اليمن يميلون ؛ لان الإمالة غالبة في ألسنتهم في أكثر الكلام [٢].

وقد جنح لها اللسان العربي لتحقيق إحدى الفائدتين الآتيتين [٣] : .

الأولى : تحقيق التجانس والانسجام بين أصوات المد ، ويمكن أن يلاحظ ذلك في الحالات التي تجيء فيها الإمالة بسبب وجود الكسرة في سياق الكلمة،

الأولى ١٩٩٤ م ص ١٣٧ ٠

(١) اللمع في العربية لابن جني ، تحقيق / حسين محمد شرف ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ٠

(٢) شرح المفصل ٩ / ٥٤ بتصرف ٠

(٣) الكتاب ، سيبويه ٤ / ١١٧ ٠

كإمالة :عابد ، وعماد ، ومساجد . وأحيانا من أجل تحقيق الانسجام أمالوا ما أصله ألا يمال ؛ وذلك كأن تكون الألف في كلمة لا تستحق الإمالة ، لكنهم أمالوها لوقوعها قرب ألف أخرى ممالة ، من ذلك قوله تعالى: " والضحى والليل إذا سجى * ما ودّعك ربّك وما قلى " (١) .

فألف {الضحى} لا تجوز إمالتها ؛ لان أصلها الواو ، لقولهم : الضحوة ، وإنما أمالوها حين قرنت بـ {سجى} و {قلى} فكلتاهما مما تمال ألفهما ؛ لأن الألف فيهما أصلها الياء ، فقال ابن يعيش : " فأرادوا المشاكلة ، والمشاكلة بين الألفاظ من مطلوبهم " (٢).

والأخرى : التنبيه على أن الألف الممالة منقلبة عن أصل يائي كإمالة : باع وصاد ، إن ضد الإمالة الفتح ، والفرق بينهما في اختلاف وضع اللسان عند النطق بكل منهما فاللسان مع الفتح يكاد يكون مستويا في قاع الفم ومع الإمالة يأخذ بالصعود نحو الحنك الأعلى (٣) .

٢ـ صيغة فعَل يفعَل : -

التي عينها أو لامها حرف حلقي كالهمزة والعين والحاء، قاربت العرب فيها بين حرف الحلق في صيغة الماضي وحركة العين في صيغة المضارع، فجعلتها فتحة، ذلك أنها والحرف الحلقي من مخرج واحد، كما في سأل يسأل، وسعَر يسعر ، وسحل يسحل . وقرأ يقرأ، وقرع يقرع ، وسبح يسبح، ويلاحظ في هذه الأمثلة أنه ليس شرطاً أن تكون عين المضارع حرفاً حلقياً .

---

(١) سورة الضحى أية ١ ، ٢ ، ٣ .

(٢) شرح المفصل ٩ / ٦٤ .

(٣) النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة مصطفى محمد نصر ٢ / ٣٢ .

أما عبارة ابن جني في التعليل للمماثلة هنا فهي ضارعوا بفتحة العين في المضارع جنس حرف الحلق لما كان موضعاً منه مخرج الألف منها الفتحة [١] .

الإدغام الأكبر : -

وفيه يقول ابن جني: يلتقي المتماثلان على أحكام تجعل الأول يدغم في الثاني ، والثاني من المتماثلين متحرك دوماً ، أما الأول فقد يكون ساكناً ، فيخفى في الثاني كما في قطَّع وسُكَّر ، وقد يكون متحركاً ، وعندها يسكن ثم يدغم في تاليه ، كما في شدّ وأصلها شدد، ومعتل وأصلها معتلل [٢] .

ويفسر ذلك وكيف تحقق التقريب فيه بقوله : " ألا ترى أنك في { قطّع } ونحوه قد أخفيت الساكن الأول في الثاني حتى نبا اللسان نبوة واحدة ، وزالت الوَقْفة التي كانت تكون في الأولى لو لم تدغمه في الآخر ، ألا ترى أنك لو تكلفت ترك إدغام الطاء الأولى لتجشمت لها وقفة عليها تمتاز من شدة ممازجتها الثانية بها كقولك : قطْطَع وسكُكْكَر ، وهذا إنما تحكمه المشافهة به فإذا أنت أزلت تلك الوُقيفة والفترة على الأول خلطته بالثاني فكان قربه منه وإدغامه فيه لجذبه إليه وإلحاقه بحكمه " [٣] .

ومعنى ذلك أن الحرف المدغم صرفياً هو : حرفان من جنس واحد الأول منهما ساكن ؛ أما من الوجهة الصوتية والنطقية فهو حرف ممدود ، إذ لا يتأتى للسان في النبوة الواحدة إلا النطق بحرف واحد . ونلاحظ هنا أن اللسان ينبؤ عن المدغم نبوة واحدة . ذلك ما كان من أمر المماثلة في التجاور الصوتي .

---

(١) الخصائص ٢ / ١٤٣ .

(٢) الخصائص ٢/١٤٠،١٣٩ ، ط دار الهدى للطباعة والنشر .

(٣) الخصائص لابن جني ، تحقيق الأستاذ / محمد علي النجار ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٣٧٢هـ ١٩٥٢م ، ٢/١٤٠ .

أما المخالفة : -

فمعناها حدوث اختلاف بين الصوتين المتماثلين في الكلمة المشتملة على التضعيف بأن يتغير أحد الصوتين المضعفين ، ويقلب إلى صوت لين طويل أو إلى أحد الأصوات الشبيهة به وهي اللام والنون والميم والراء ، وقد تحدث الأقدمون عن هذه الظاهرة كالفراء والجوهري وابن فارس، وابن جني ، وعبروا عنها بألفاظ مختلفة من مثل كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد وكراهية اجتماع الأمثال .

فعنها يقول ابن جني : " من ذلك قول العرب تسرّيت من لفظ { س ر ر } وقد أحالته الصنعة إلى لفظ { س ر ي } ومثله قصَّيت أظفاري ، هو من لفظ { ق ص ص} وقد آل بالصنعة إلى لفظ { ق ص ي } وكذلك قوله : تقضِّي البازي إذا البازي كسر ، هو في الأصل من تركيب { ق ض ض } ثم أحاله ما عرض من استثقال تكريره إلى لفظ { ق ض ي } " [1]. فلعله هنا ينفر من الاستثقال في النطق الناجم عن المخالفة .

الدلالة الصوتية عند " ابن جني "

إن الدلالة الصوتية هي ما تؤديه الأصوات المكونة للكلمة من دور في إظهار المعنى ، وذلك في نطاق تأليف مجموع أصوات الكلمة المفردة ، سواء كانت هذه الأصوات صوامت {consonants} أو حركات {vowels} وتسمى بالعناصر الصوتية الرئيسة التي يشكل منها مجموع أصوات الكلمة التي ترمز إلى معنى معجمي، كما تتحقق الدلالة الصوتية كذلك من مجموع تأليف كلمات الجملة وطريقة أدائها الصوتي ومظاهر هذا الأداء ، وهذا ما يعرف بالعناصر الصوتية الثانوية التي تصاحب الكلمة المفردة [2]، ويوضح الدكتور / عبد الكريم مجاهد مفهوم الدلالة

(١) السابق ٢ / ٩٠ .

(٢) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ،دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية

الصوتية بقوله : " تعتمد على تغيير الفونيمات ، أي باستخدام المقابلات الاستبدالية بين الألفاظ ، حتى يحدث تعديل أو تغيير في معاني الألفاظ لأن كل فونيم مقابل استبدالي لآخر ، فتغيره أو استبداله بغيره لا بد أن يعقبه اختلاف في المعنى ، كما نقول في العربية : نفر ونفذ ، فبمجرد استبدال الراء بالذال يتغير معنى الكلمتين بصورة آلية " (١).

وكان لابن جني فضل السبق في ميدان الدلالة الصوتية وحدد لها في كتابه الخصائص العديد من الأبواب مثل: { باب في الاشتقاق الكبير } (٢) ، و{ باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني } (٣) ، و{ باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني } (٤) ، وسوى ذلك مما جاء متفرقا في أبواب الكتاب . وقد سماها ابن جني بـ " الدلالة اللفظية " ، وتعد عنده من أقوى الدلالات حيث يقول : " اعلم أن كل واحد من هذه الدلالات معتد مراعى مؤثر ، إلا أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب ، فأقواهن الدلالة اللفظية ثم تليها الصناعية ، ثم تليها المعنوية" (٥).

وتقسم الدلالة الصوتية عند ابن جني إلى قسمين : –

أولا : الدلالة الصوتية الطبيعية : والمقصود بها تلك الدلالة الطبيعية بين

والمعجمية ، د / محمود عكاشه ، دار النشر للجامعات ، ط أولى ، القاهرة ٢٠٠٥ م ص ١٧ ، ١٨ .

(١) الدلالة اللغوية عند العرب ، دار الضياء ، عمان ، الأردن ص١٦٦ .

(٢) الخصائص ٢ / ١٤٥ .

(٣) الخصائص ٢ / ١٥٢ ، ١٦٨ .

(٤) السابق ٢ / ١٦٨ ، ١٧٨ .

(٥) السابق ٣ / ٩٨ .

الدال والمدلول التي ترتبط ارتباطا وثيقا بنظرية محاكاة وتقليد أصوات الطبيعة في نشأة اللغة وأصلها ، وهي نظرية بنيت على أساس وجود مناسبة طبيعية بين اللفظ ومعناه كحكاية الأصوات ، مثل " القهقهة " {حكاية صوت الضحك} و" غاق " { حكاية صوت الغراب }... الخ . واكتشف العلماء في طائفة من الألفاظ العربية صلة بينها وبين معانيها ، وذهبوا إلى أن العربي بطبيعته كان يربط بين الصوت والمعنى ، فيختار لكل لفظ حرفا ذا صفة تشاكل معناه وتناسبه من حيث القوة والضعف ،"ومن ذلك كلمتا { القضم } و{الخضم }، فكلاهما للأكل ، ولكنهما اختلفتا في حرف واحد، واختيرت القاف القوية الشديدة للقضم، لأن من معانيه أكل الصلب اليابس، واختيرت الخاء الرخوة للخضم لأن من معانيه أكل الشيء الرطب ، كالقثاء فناسبه الخاء " [١] .

إن المتأمل في نظرية المحاكاة الطبيعية يرى بما لا يدع مجالا للشك أنها تقول بتقليد أصوات الطبيعة في نشأة اللغة الإنسانية وأصلها ، فهي في نظرها جاءت محاكاة لصدى المسموعات من عوارض الطبيعة كالريح والرعد والماء وأشباه الكائنات الحيوانية [٢] . وترتبط حكاية الأصوات المسموعة ارتباطا وثيقا بالمذهب الطبيعي الذي تقبله ابن جني واطمأن إليه ،إذ يقول:"أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح ، وحنين الرعد، وخرير الماء ، وشحيج الحمار ، ونعيق الغراب ، ونزيب الظبي ، ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد " [٣] .

وتقبل ابن جني هذا المذهب نظراً لتقبل من سبقوه كالخليل وسيبويه ، فيقول

(١) المزهر ١ / ٥٠، ٥١ ، شرح وضبط وتعليق / محمد أحمد جاد المولى بك ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، ط الثالثة ، دار التراث ، القاهرة .

(٢) التفكير اللساني في الحضارة العربية ، د/ عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ص ١٦٦ .

(٣) الخصائص ١ / ٤٦ ، ٤٧ .

: "اعلم أن هذا موضع شريف لطيف ، وقد نبه عليه الخليل وسيبويه ، وتلقته الجماعة بالقبول والاعتراف بصحته،قال الخليل :كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومد، فقالوا : صر ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا: صرصر" (١) .

فابن جني – من خلال قوله هذا – يتضح لنا أنه يقول بالمناسبة الطبيعية بين الصيغة المعجمية ودلالتها.

ثانياً : الدلالة الصوتية التحليلية : والمقصود بها هنا تلك الدلالة الصوتية التي تتحقق جراء الإحلال بين الصوامت والصوائت {الحروف والحركات}المختلفة أو ما يعرف بالفونيمات التركيبية ، أو تستنبط من خلال مختلف الأداءات الصوتية التي اصطلح عليها بالفونيمات الثانوية باعتبارها ملامح صوتية غير تركيبية مصاحبة تمتد عبر أطوال متنوعة في الأداء الصوتي، وتشارك في تنوع معاني الكلام مثلما تشارك فيه الأصوات التركيبية ، وذلك مثل النبر والتنغيم والوقف... الخ.

وفي الدلالة الصوتية للصوامت لاحظ ابن جني : أن دقة المعنى تتفق مع جرس الحرف المختار فكأن هناك اختيارا مقصودا للصوت ليؤدي المعنى المغاير لما يؤديه الصوت الآخر .

ومن الأمثلة التي ساقها ابن جني في ذلك : { قضم ، خضم } و{صعد ، سع } و { سد، صد }و{قسم ، قصم }.. يقول في{ قضم وخضم }: " ألا تراهم قالوا قضم في اليابس وخضم في الرطب وذلك لقوة القاف وضعف الخاء ، فجعلوا الحرف الأقوى للفعل الأقوى ، والصوت الأضعف للفعل الأضعف" (٢). فقد اعتمد المعنى على

(١) السابق ٢ / ١٥٢ .

(٢) الخصائص ٢ / ١٥٢ .

صوت الحرف ، ويوضح ذلك أكثر في موضع آخر فيقول : " فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء ، وما كان نحوهما من المأكول الرطب ، والقضم للصلب اليابس ،نحو : قضمت الدابة شعيرها ، ونحو ذلك. وفي الخبر { قد يدرك الخضم بالقضم } أي قد يدرك الرخاء بالشدة ، واللين بالشظف..."[١]. فدلالة الفعلين{ قضم }و{ خضم } مستوحاة من خصائص الصوت، فالقاف والخاء يقتربان في المخرج" فالقاف صوت قوي لهوي انفجاري مهموس"[٢] . و"الخاء صوت من أقصى الحنك احتكاكي مهموس" [٣]، فالقاف شديد {انفجاري} والخاء رخو { احتكاكي } فالشدة والرخاوة هنا هما اللتان حددتا المعنى عند ابن جني يقول معللا ذلك : " فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس ، حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث " [٤] .

فابن جني يرى – هنا – صلة وثيقة بين القاف الشديدة والصوت الناشئ عن أكل اليابس ، كما يرى مناسبة واضحة بين الخاء الرخوة والصوت الناشئ عن أكل الرطب.

ويقول ابن جني مبينا الفرق في المعنى بين { صعد } و{ سعد } : "ومن ذلك قولهم : صعد وسعد ، فجعلوا الصاد – لأنها أقوى – لما في أثر مشاهد يرى ، وهو الصعود في الجبل والحائط ، ونحو ذلك ، وجعلوا السين – لضعفها – لما لا يظهر ولا يشاهد حسا ، إلا أنه مع ذلك فيه صعود الجد لا صعود الجسم ، ألا تراهم

(١) السابق ٢ / ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٢) علم اللغة العام " الأصوات "د/كمال بشر ،ط الخامسة، دار المعارف ، مصر ١٩٧٩م ص ١٠٩.

(٣) علم اللغة العام ١٢١ .

(٤) الخصائص ٢ / ١٦١ .

يقولون : هو سعيد الجد ، وهو عالي الجد ، وقد ارتفع أمره ، وعلا قدره ، فجعلوا الصاد لقوتها ، مع ما يشاهد من الأفعال المعالجة المتجشمة ، وجعلوا السين لضعفها ، فيما تعرفه النفس وإن لم تره العين ، والدلالة اللفظية أقوى من الدلالة المعنوية " [١] . وإنما كانت الصاد أقوى من السين لما فيها من إطباق واستعلاء تفتقر إليهما السين ، وعلى هذا النحو يعلل الصد والسد ، وقصم وقسم . إذ يقول : " ومن ذلك أيضا سد وصد ، فالسد دون الصد ، لأن السد للباب يسد ، والمنظرة ونحوها ، والصد جانب الجبل والوادي والشعب ، وهو أقوى من السد ، الذي قد يكون لثقب الكوز ورأس القارورة ونحو ذلك ، فجعلوا الصاد لقوتها ، للأقوى ، والسين لضعفها ، للأضعف [٢]، فدلالة الكلمات هنا اعتمدت على حرفي الصاد والسين ، و" الصاد صوت رخو مهموس ، يشبه السين في كل شيء سوى أن الصاد أحد أصوات الإطباق " [٣] .

فهما يتفقان في صفتين هما الرخاوة والهمس، فكلاهما رخو وكلاهما مهموس، غير أن الصاد مطبق والسين منفتح ، والإطباق أشد من الانفتاح .

ويقول بعد ذلك موضحا الفرق في المعنى بين { قسم } بالسين ،و{ قصم} بالصاد : "من ذلك القسم والقصم. فالقصم أقوى فعلا من القسم ، لأن القصم يكون معه الدق، وقد يقسم بين الشيئين فلا ينكأ أحدهما، فلذلك خصت بالأقوى الصاد، وبالأضعف السين " [٤] .

---

(١) السابق نفس الصفحة .

(٢) الخصائص ٢ / ١٦٢ .

(٣) الأصوات اللغوية، د/ إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٩٩ ص ٧٣، ٧٤ .

(٤) الخصائص ، ابن جني ٢ / ١٦٠ .

أما إذا وقع الحرفان المختلفان وسطا نحو { الوصيلة والوسيلة } ، فيقول: "ومن ذلك قولهم : الوسيلة والوصيلة ، والصاد – كما ترى – أقوى صوتا من السين ، لما فيها من الاستعلاء ، والوصيلة أقوى معنى من الوسيلة . وذلك أن التوسل ليست له عصمة الوصل والصلة، بل الصلة أصلها من اتصال الشيء بالشيء ، ومماسته له ، وكونه في أكثر الأحوال بعضا له ، كاتصال الأعضاء بالإنسان ، وهي أبعاضه ، ونحو ذلك ، والتوسل معنى يضعف ويصغر أن يكون المتوسل جزءا أو كالجزء من المتوسل إليه . وهذا واضح. فجعلوا الصاد لقوتها ،للمعنى الأقوى ،والسين لضعفها ،للمعنى الأضعف" (١) وقوله كذلك : "ومن ذلك تركيب { ق ط ر } و{ ق د ر } و{ ق ت ر } فالتاء خافية متسفلة والطاء سامية متصعدة ، فاستعملتا – لتعاديهما – في الطرفين ، كقولهم : قتر الشيء وقطره . والدال بينهما ، ليس لها صعود الطاء ولا نزول الشيء لجماعه ومحر نجمه..." (٢).

ويلاحظ أن أبا الفتح قد وقف عند صفتي الاستعلاء والاستفال فحسب، ليرتب هذه الحروف من حيث القوة والضعف والتاء، فكانت لذلك واسطة بينهما ، فعبر بها عن معظم الأمر ومقابلته ، فقيل قدر تناسب ذلك مع المعنى ، مع أننا لا نعدم صفات أخرى ، يمكن أن يتكأ عليها في المفاضلة بين هذه الحروف كالإطباق في الطاء والصفة التي مازتها من الدال والتاء ، والجهر والقلقلة الصفتين اللتين خصت بهما الدال دون التاء . ونحو من ذلك قولهم : " النضخ للماء ونحوه ، والنضخ أقوى من النضح ، قال الله– سبحانه– { فيهما عينان نضاختان } فجعلوا الحاء – لرقتها –

(١) السابق ٢/ ١٦٢ .

(٢) الخصائص ٢ / ١٥٨ .

للماء الضعيف، والخاء – لغلظها – لما هو أقوى منه" [١] .

ولا يخفى ما في الحاء من بحة تنسجم وشح الماء ، وما في الخاء من استعلاء يتفق والتعبير عن وفرة الماء .

ويقول أبو الفتح في تخصيص { القد } للقطع طولا والقط للقطع عرضا: "ومن ذلك القد طولا ، والقط عرضا . وذلك أن الطاء أحصر للصوت وأسرع قطعا من الدال . فجعلوا الطاء المناجزة لقطع العرض ، لقربه وسرعته ، والدال المماطلة لما طال من الأثر ، وهو قطعه طولا " [٢] .

وقد راعى ابن جني ترتيب الحرف داخل اللفظ بما يساوي الحدث المعبر عنه فيقول :" ذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبها ، وتقديم ما يضاهي أول الحدث ، وتأخير ما يضاهي آخره وتوسيط ما يضاهي أوسطه، سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود،والغرض المطلوب" [٣]. وساق على ذلك العديد من الأمثلة منها : { بحث ، شد } .

يقول في { بحث } مبينا كيف رتبت فيها الأصوات على سمت المعنى ، وكيف تم تقديم ما يضاهي أول الحدث ، وتأخير ما يضاهي أخره وتوسيط ما يضاهي أوسطه، وذلك سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود " فقالوا : { بحث } فالباء لغلظتها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض ، والحاء لصحلها تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض ، والثاء للنفث والبث للتراب ، وهذا أمر تراه محسوسا محصلا " [٤].

---

(١) السابق ٢ / ١٦ ،والآية رقم { ٦٦ } من سورة الرحمن .

(٢) السابق ٢ / ١٦٣ .

(٣) الخصائص ٢ / ١٦٣ .

(٤) السابق نفس الصفحة .

" فالباء صوت شفوي انفجاري مجهور،وعند النطق به يقف الهواء الصادر من الرئتين وقوفا تاما عند الشفتين، إذ تنطبق هاتان الشفتان انطباقا كاملا، ويضغط الهواء مدة من الزمن ، ثم تنفرج الشفتان فيندفع الهواء فجأة من الفم، محدثا صوتا انفجاريا، ويتذبذب الوتران الصوتيان أثناء النطق " (١) ، وقد شبهها ابن جني بخفقة الكف على الأرض ،أما الحاء فهي " صوت حلقي احتكاكي مهموس، وعند النطق به يضيق المجرى الهوائي في الفراغ الحلقي بحيث يحدث مرور الهواء احتكاكا، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به " (٢)، لذا نجد ابن جني يشبهها بمخالب الأسد أو براثن الذئب إذا غارت في الأرض ،وأما الثاء " مما بين الأسنان فهو صوت احتكاكي مهموس ، يوضع طرف اللسان حال النطق بهذا الصوت بين أطراف الثنايا العليا والسفلى بصورة تسمح بمرور الهواء من خلال منفذ ضيق فيحدث الاحتكاك ، مع عدم السماح للهواء بالمرور من الأنف،ومع عدم تذبذب الأوتار الصوتية " (٣)، وقد شبه ابن جني{الثاء} بالنفث والبث للتراب .

يقول في { شد } : " من ذلك قولهم شد الحبل ونحوه ، فالشين بما فيها من التفشي تشبه بالصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد، ثم يليه إحكام الشد والجذب، وتأريب العقد، فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى من الشين، ولا سيما مدغمة، فهو أقوى لصنعتها ، وأدل على المعنى الذي أريد به " (٤) .

ويزيد أبو الفتح الأمر وضوحاً بقوله : " فإن أنت رأيت شيئا من هذا النحو لا ينقاد لك فيما رسمناه ، ولا يتابعك على ما أوردناه، فأحد أمرين : إما أن تكون لم

(١) علم اللغة العام " الأصوات " دكتور كمال بشر ١٠١ .
(٢) السابق نفس الصفحة .
(٣) علم اللغة العام ١١٨ .
(٤) الخصائص ٢/ ١٦٣ .

تمعن النظر فيه فيقعد بك فكرك عنه ، أو لأن لهذه اللغة أصولا وأوائل قد تخفى عنا وتقصر أسبابها دوننا – كما قال سيبويه – أو لأن الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر" [١].

وكما أنه للحروف دقة في المعنى تتفق مع حرف الجرس المختار كذلك الحركات ، فهي تحاكي الحدث المعبر عنه فقد نقل " ابن جني " عن " سيبويه " قوله في المصادر التي جاءت على الفعلان " إنها تأتي للاضطراب والحركة ، نحو : النقزان ، والغليان، والغثيان، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال " [٢] .

وكذا حال الحركات في (الفعلى)، يقول أبو الفتح:"ووجدت أيضا الفعلى في المصادر والصفات، إنما تأتي للسرعة، نحو: البشكى، والجمزى والولقى" [٣] .

فهم بذلك جعلوا"المثال الذي توالت حركاته للأفعال التي توالت الحركات فيها "[٤] .

وخلاصة القول أن ابن جني : استطاع أن يؤكد أن للصوت سواء كان حرفا أو حركة قيمة دلالية، وأن ثمة علاقة طبيعية بين الدال والمدلول ، ولكن إدراكها لا يتيسر إلا لمن خبر أصوات العربية، واستحضر خصائصها الطبيعية والوظيفية .

الإبدال :

الإبدال ظاهرة صوتية تحدث بين الحروف المتقاربة في المخرج والصفة ، فيوضع حرف مكان حرف في الكلمة لقضية صوتية ، أي " إبدال صوت من كلمة

(١) السابق ٢ / ١٦٤ .
(٢) السابق ٢ / ١٥٢ .
(٣) الخصائص ٢ / ١٥٣ .
(٤) السابق نفس الصفحة .

بصوت آخر ، وهو كثير في اللغة أيضاً ، ويقع بين الأصوات المتقاربة في الحيز والمخرج وبين المتباعدة أيضاً والأول هو الأغلب "[١] . والإبدال بين الأصوات يقع على أساس صوتي .

ولا يدري الخليل ألغة هو أم لثغة فذكر كلمتي " الزعاق والزعاف " وقال : سمعنا ذلك عن بعضهم وما ندري ألغة أم لثغة [٢] .

أما ابن جني : فقد أشار إلى هذه الظاهرة في الحرفين اللذين يخرجان من مخرج واحد كما هو الحال في الدال والطاء ، واعتمد في هذا على رأي أبي علي الذي أشار فيه إلى هذه الظاهرة مشترطاً فيها تقارب المخارج وتدانيها [٣] .

ويتضح من هذا أن قرب المخرج وبعده من أهم شروط هذه الظاهرة ، وقد اختلف اللغويون في هذا الشرط . فمنهم من رأى أن من الضروري أن يكون الحرفان متقاربين في المخرج والصفة نحو التاء والسين في {عتا وعسا} أو أن يكونا متدانيين في المخرج كالهمزة والهاء ، لأنهما من حروف الحلق [٤] .ومن هؤلاء الفراء والفارسي وابن جني.

وإذا أردنا معرفة الأصل من الفرع في الأحرف المبدلة فلا بد من مراعاة ما يسمى بالتصرف والتداول : لأن الحرف الأكثر تصرفاً وتداولاً في القبيلة الواحدة هو الأصل نحو : " جدف و جدث "فالعرب تستخدم " أجداث " أكثر من " أجداف " وأكثروا

(١) الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، د/ محمد حسين آل يس ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ط أولى ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م ، ص ٤١٧ .

(٢) المزهر ، السيوطي ، تصحيح / محمد أحمد جاد المولى ، وعلي محمد البيجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر بيروت ، بدون تاريخ ١ /٥٥٦ .

(٣) سر صناعة الإعراب ١/ ١٨٠ .

(٤) المقتضب ، المبرد ، ت/ محمد عبد الخالق عضيمه ، عالم الكتب ، بيروت ، ١/١٥٥٠

من " ثم " واقّلوا من" فُم" ومن هذا الباب نعرف أن " الثاء " هي الأصل لكثرة الاستعمال اللغوي وكثرة تداوله على الألسن [١] .

وفي ذلك يقول عالمنا الكبير ابن جنى : "يقال : الثُّوم والفُوم بمعنى واحد ،كقولهم : جدث وجدف ، وقام زيد ثم عمرو ، ويقال : أيضاً فُم عمرو . فالفاء بدل فيهما جميعاً . ألا ترى إلى سعة تصرف الثاء في جدث لقولهم أجداث ولم يقولوا أجداف وإلى كثرة ثُم وقلة فُم "[٢].

وضرب " ابن جني " العديد من الأمثلة على هذه الظاهرة منها : –

أولاً : في الصوامت : ـ

١ـ إبدال الهمزة هاء : " شاء – شاه ":-

فقد أورد ابن جني عن العرب إبدالهم الهاء همزة ، والهمزة هاء بقوله : " إلا أَن العرب أبدلت الهاء همزةً . كما أبدلتِ الهمزة هاء في قراءة من قرأ :{ هِـَياك نعبد} ... وكما قالوا: "هرقْت الماء " في { أرقت} ... فكما أبدلت الهمزة في المواضع هاء ؛ لأنَّهما من مخرج واحد . وكذلك أبدلت الهاء في { شاة } همزةً . فصارت { شاء }كما ترى ؛ فجمعوا على الكلمة : قلب العين أَلِفاً وقلب اللام همزة ، وهذا مكروه ، وعليه أكثر الأقاويل[٣] .

---

(١) من أسرار العربية ، د / إبراهيم أنيس ، الأنجلو المصرية ، ط الخامسة ١٩٧٥م ، ص ٧٥– ٨١

(٢) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ابن جني ، ت/ علي النجدي ناصف ، د/ عبد الحليم النجار ، د / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي ، دار سزكين للطباعة والنشر ، ط الثانية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ٨٨/١ .

(٣) المنصف ، شرح الإمام / ابن جني ، لكتاب التصريف ، للإمام / أبي عثمان المازني ، ت / إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين ، مطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده بمصر ، ط أولى ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م ٢/ ١٤٥، والآية رقم (٥) من سورة الفاتحة .

ويتضح من قول ابن جني إنّه يقرر أن { شاء } هي جمع { شاة } كما أَن { بقراً} جمع { بقرة } ، فالهاء للتأنيث وألفها منقلبة عن واو ، واللام محذوفة التي هي الهاء ويستدل على هذا عند جمع شاة ، تحذف هاء التأنيث ويبقى الاسم من حرفين الشِين والألف ، وخوفاً من ذهاب الألف في التنوين لأنها ساكنة ويبقى الاسم من حرف واحد ، فوجب رد الهاء الأصلية التي هي لام الكلمة فيكون التقدير{شاة} مثل وزن {جاه }[١] .

كما نقل ابن جني قراءة عن أبي علي إبدال الهمزة هاء في { هير } و{ أير} بقوله : قرأت على أبي علي قال : قال الأصمعي : يقال للصبا : { هيْر }و{ هيّر } و{ أَيْر} و{ إيْر} [٢].

وقرأ ابن جني على أبي علي أيضاً : من الرجز :

فانصرفت وهي حصان مغضبه ورفعت بصوتها : هيا أبه [٣]

ويتضح مما ذكر شيوع الإبدال بين{الهاء}و{الهمزة } في كلام العرب لقرب مخرجيهما، ولأنهما من حروف الحلق .

وفي معنى { هات } يقول ابن جني : " هاتِ ، إنما هو استدعاء منك للشيء واجتذابه إليك "[٤].

فالاجتذاب والانخفاض في معنى واحد ، والذي ذهب إليه أبو علي هو المعنى نفسه الذي ذهب إليه الخليل من قبلُ ، لأن الإتيان ضرب من الانجذاب ، فما ذهب إليه الخليل في إبدال الهمزة هاء في "هيت" من {أتيت} ، يدل عليه المعنى الواحد الذي تابع

(١) السابق ٢ / ١٤٤ .
(٢) سر صناعة الإعراب ٢ / ٥٥٣ .
(٣) السابق ٢/٥٥٤ .
(٤) الخصائص ١/ ٢٧٨ .

أبو علي الخليل فيه.

فكأن أبا علي أشار إلى هذا الإبدال ضمنًا في المعنى الذي ذهب إليه في الكلمة وهو الانجذاب .

وأشار ابن جني إلى هذا الإبدال في كلمة {ماء} أصله {موه} لقولهم في جمعها {أمواه} مستشهداً فيما أنشده أبو علي بقول الشاعر :

وبلدةٍ قالصةٍ أمواؤُها ماصحةٍ رأْد الضحى أَفْياؤُها [١]

إن هذا الإبدال مطرد عند اللغويين الذين سبقوا أبا علي وابن جني فقد ذكر أبو بكر بن السراج هذا بقوله : " وأبدلوا الهمزة من الهاء في موضع اللام من ماءٍ ، يدلُّ على ذلك تصغيرها {مويه} وفي الجمع { مياه وأَمواه } [٢] .

٢- إبدال الهمزة عيناً : -

وتسمى العنعنة ، التي تتصف بها لهجة تميم ، فيقلبون همزة { أَن }عيناً فتكون {عن }. قال الخليل : أما تميم فإنَّهم يجعلون بدلَ الهمزةِ العين ، يقول الشاعر :

إن الفؤاد على الذَّلفاءِ قد كَمِدا وحبها موشِك عن يصدع الكبِدا [٣]

وقال أيضاً :" الخَبْعُ : الخبءُ في لغة تميم ، يجعلون بدلَ الهمزة عيناً " [٤] .

وقد خص ثعلب بهذا الإبدال همزة {أن} بقوله:" فأما عنعنة تميم فإن تميماً تقول في موضع {أن } {عن } تقول : عن عبد الله قائم . قال : وسمعت ذا الرمة ينشد

(١) سر صناعة الإعراب ١ / ١٠٠ .

(٢) الأصول في النحو ، ابن السراج ، ت د / عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط الثانية ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ٣ / ٢٤٦ .

(٣) العين ١ / ٩١ .

(٤) السابق ١ / ١٢٣ .

عبد الملك بقوله :

أعنْ تَرسمت من خَرقاء منزلةً

قال : وسمعت ابن هرمة ينشد هارون :

أعنْ َ تغنَّتْ على ساقٍ مطَوقَةُ ورقاءُ تدعو هديلاً فوق أَعوادِ ِ [١]

وتابعهما في هذا عالمنا الكبير ابن جني فضلاً عن اشتقاقها ، فقال : " وقولهم {عنعنة } مشتق من قولهم { عَنْ ، عَنْ، عن } في كثير من المواضع ، ومجيء النون في {العنعنة} يدل على أن إبدالهم إياها هو في همزة { أن } دون غيرها "[٢] .

وقال : أنشدني أبو علي :

تَعَرَّضا لم تألُ عن قتلاً لي

هكذا انشدنيه : عن قَتْلاً ..... الذي أجازه أبو علي في قوله {عن قَتلاً لي } أنه قال : يجوز أن يكون أراد { أن قتلا لي } أي : أن قتلتنى قتلا ، فأبدل الهمزة عيناً .فهذا أيضا من عنعنة تميم [٣] .

ولم تقتصر رواية ابن جني على أبي علي في قلب الهمزة عيناً في { أن } فقط وإنما حكي عنه في مواضع أُخر ، بقوله : " أخبرني أبو علي قراءة عليه يرفعه إلى الأصمعي ، قال : سمعت أبا تَغلِب ينشد بيت طفيل :

فنحن منعنا يوم حرسٍ نساءكُم غداة دعانا عامرٌ غير مُعَتلي

وقال : يريد : غير مُؤتلي ، قال : وسمعت أبا الصقري ينشد :

أريني جواداً مات هزلاً لأَلني أرى ما ترين، أو بخيلاً مخلداً

---

(١) مجالس ثعلب ،لأبي العباس احمد بن يحيى ثعلب ، شرح وتحقيق عبد السلام هارون ، دارالمعارف بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٦٠ م ١/ ٨١ .

(٢) سر الصناعة ١ / ٢٣٣ .

(٣) السابق نفس الصفحة .

قال : يريد : لعّلني ... وقرأتُ على أبي على ، عن أبي بكر ، عن بعض أصحاب يعقوب ، عنه ، قال : قال الأصمعي : يقال : آديته وأَعديته ، على كذا وكذا ، أي : قويته وأعنته " [1] .

ومن هنا يمكن القول بأن هذا النوع من القلب يعد من عيوب اللهجات التي اختصت بها تميم وحدها ، وترفعت عنه قريش وإن اختصت بكلمة { أن } فقط .

(١) السابق ١/ ٢٣٥ ، ٢٣٦،٢٣٧ .

٣- إبدال الحروف المضاعفة ياء :-

إن هذه الظاهرة موجودة في العربية ، وسببها تكرار الحرف نحو : رديت ومريت وفكيت في رددت ومررت وفككت ، فتبدل لام الكلمة ياء لكراهية التضعيف ولكّنها غير مطرده وتعد من باب الشذوذ .

يقول ابن جني : " أخبرنا أبو علي أن أبا العباس أحمد بن يحيى حكي عنهم : لا وربيك لا أَفْعلُ ، أراد لا ورّبك لا أفعل ، فأبدل الباء الثانية ياء لأجل التضعيف . وقال بعضهم في لَبيتُ بالحج : إنما هو لببتُ : فَعلْتُ : من قولهم : أَلب بالمكان أي أقام به ، قرأت على أبي علي للمضرب بن كعب:

فقلتُ لها : فِيئي إليك فَإنَّني حرام، وإنّي بعد ذاكِ لَبيب

أي مَلبٍ بالحج "(١) .

واعتبر سيبويه هذا الإبدال من قبيل الشذوذ بقوله : " هذا باب ما شّذ فأُبدِلَ مكان اللام الياء لكراهية التضعيف ، وليس بمطَّرِد وذلك قولك : تَسرّيتُ وَتظنَّيتُ، وَتَقصيتُ من القصة ، وأَمَليتَ "(٢) .

وقال ابن جني : " فأما قولهم { تَسريتُ } فيكون أيضاً من باب إبدال الياء من الراء ، وأصلها على هذا{ تَسررتُ } ، لأنها من{ السرّيّة } و{ السرُّيّة } { فُعليه } من السر "(٣) .

وأضاف : {أمليت }الكتاب ، إنّما أصله { أمللت } فأبدلت اللام الآخرة ياء هرباً

---

(١) سر الصناعة ٢ / ٧٤٣،٧٤٤ .والمسائل العسكريات في النحو العربي لأبي علي الفارسي دراسة وتحقيق دكتور / علي جابر المنصوري ، مطبعة الجامعة ، بغداد ، الطبعة الثانية ١٩٨٢ م ، ص ١١٩ .

(٢) الكتاب لسيبويه ٤ / ٤٢٤ .

(٣) سر الصناعة ٢ /٧٥٥ ، ٧٥٩ .

من التضعيف ، وقد جاء القرآن باللغتين جميعاً ، قال تعالى: "فَهِي تُملَى علَيهِ بكْرةً وأَصِيلاً" (١) وقال تعالى: " وَليملِلِ الذي علَيهِ الحقُّ " (٢) .

" وقال أخبرنا أبو علي بإسناده عن يعقوب ، قال : قال اللحياني : { قَصيتُ} أظفاري في معنى قَصصتُها ، فهذا مثل { تَظنَّيتُ } أبدلت الصاد الثالثة ياء كراهية التضعيف ... وأخبرنا أبو علي ، قال : قال الأصمعي وأبو عبيدة في قول العجاج :

تَقضي البازِي إذا البازِي كَسر

هو { تَفعُّل } من الانقضاض ، وأصله { تَقضض } فأبدلت الضاد الأخيرة ياء لما ذكرت لك..... أخبرنا أبو علي بإسناده عن يعقوب عن ابن الإعرابي أنّه أنشد :

نَزور امرءاً أما الإله فيَتقي وأَما بفعل الصالحين فيأتمي

قال ابن الأعرابي : أراد : يأتم ، فأبدل الميم الثانية ياء (٣) .

وفي معنى قصيت يقول : " وقد يجوز عندي أن يكون{ قَصيتُ } { فَعلْتُ } من أقاصي الشيء ؛ لأن أقاصيه أطرافه ، والمأخوذ من الأظفار إنّما هو أطرافها أو أقاصيها ، فلا يكون في هذا بدل " (٤) .

وفي تلعيت يقول: " أخبرنا أبو علي بإسناده عن يعقوب، قال : قال ابن الأعرابي :{ تَلعيتُ} من {اللُّعاعة} و{اللُّعاعة} بقلة ، وأصل{ تلعيتُ } { تَلعتُ } فأبدلوا من العين الآخرة ياء كما قالوا { تَقضيتُ } و{ تَظنَّيت }(٥) .

وأورد ذلك ابن السكيت في كتابه الإبدال تحت باب { حروف المضاعفة التي

(١) سر الصناعة ٢/ ٧٥٨ ،٧٥٩ . والآية { ٥ } من سورة الفرقان .
(٢) سورة البقرة ، الآية { ٢٨٢ } .
(٣) سر الصناعة ٢ / ٧٦٠ .
(٤) السابق ٢ /٧٥٩ .
(٥) السابق ٢ / ٧٦٣ .

تقلب إلى ياء} " قال أبو عبيدة : العرب تقلب حروف المضاعفة إلى الياء ، فيقولون: {تظنَّيتُ} ، وإنّما هو { تَظَنَّنْتُ } ويشمل هذا قلب الباء المضاعفة إلى ياء في نحو { لا وربيك } الذي هو بالأصل { لا وربك } في رأي وفي رأي آخر أنَّها لهجة ، وهو الصحيح " [١] .

ويتضح من هذا أن إبدال الحروف المضاعفة ياء خاص بلهجات دون أخرى وأن هذه الكلمات يقصد بها دلالات معينة عند أقوام وأخرى عند غيرها .

الإشمام : -

وهو ظاهرة حركية لجهاز النطق تحدث عند وقف المرفوع والمضموم ، ولا تحدث عند الحرف الذي هو في موضع نصب أو جر وإنّما عنده تروم الحركة وتضاعف ، والإشمام لا سبيل إليه[٢] .

وهو مختص بالمضموم قال بذلك أبو حيان : سواء أكانت ضمة بناء أم غيرها ، وما روى عن الكسائي أنّه يعجبه أن يشم آخر الحرف الرفع والخفض في الوقف ، وعن أبي عمرو أنّه قرأ {فأوف} بإشمام الجر ، وعن عاصم أنّه يشير إلى إعراب الحرف عند الوقف ينبغي أن يحمل ذلك الروم[٣] .

وعلل ابن الباذش بحدوث الإشمام مع الضم ، بعدم وجود إشارة لموضع الفتح والكسر ، كما هو الحال في الضم ؛ لأن الفتحة من الحلق والكسرة من وسط الفم فلا نستطيع الإشارة لموضعها ، في حين الضمة من الشفتين ، فيمكن الإشارة لموضعها ،

---

(١) الإبدال لابن السكيت ، تقديم / حسن محمد محمد شرف ، مراجعة / علي النجدي ناصف ، القاهرة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، ص١٣٣ .

(٢) الكتاب ٤ / ١٦٨ ، ١٧١ .

(٣) ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي ، ت/ مصطفى أحمد النماس ، ط أولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، مطبعة المدني القاهرة ١ / ٣٩٧ .

ولهذا فإن النصب والجر لا آلة لإشمامهما [١] .

وكما يحدث الإشمام في الوقف يحدث أيضاً في الوصل هذا ما ذهب إليه أبو عمرو الداني بقوله : " وأما المشمُّ من الحروف في حال الوصل أو الوقف فحقه أن يخلص سكون الحرف ثم يومى بالعضو ،وهما الشفتان ، إلى حركته ليدلَّ بذلك عليها من غير صوت خارج إلى اللفظ "[٢].

فالإشمام يحدث عند الوقف أو الوصل ويختص بالضمة دون الفتحة والكسرة . أَما في فُعِلَ نحو { قُوِل ، وخُوِف، بيِع}فهي { قال ، وخاف، باع }فإن أصلها عند ابن جني { قُوِلَ ، خُوف ، بيِع }على وزن { فُعِلَ} كما أشار إلى ذلك سيبويه،ولكنهم لما أعلوا العين قلبوها إلى ألف ، وكسرتها نقلوها إلى الفاء فانقلبت العين ياء لانكسار ما قبلها وبقيت العين بحالها ياء في {بِيع } فصار { خِيف ، وبِيع ، وقِيل } [٣] . فأصبحت حركة الفاء هنا بين الضمة والكسرة .

وأكمل ابن جني : " وأما من أشم فإنّه أراد البيان . وقد كان في الفاء ضمة فأراد أن ينقُلَ إليها كسرة العين فلم يمكنه أن يجمع في الفاء الكسرة والضمة ، فأشم الكسرة ، فصارت الحركةُ في الفاء بين الضمة والكسرة بمنزلة الحركة في { كافِرٍ ، وجابِرٍ } لأنّها بين الفتحة والكسرة "[٤] .

---

(١) الإقناع في القراءات السبع،تأليف أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ابن الباذِش حققه وقدم له د/عبد المجيد قطامش ،دار الفكر بدمشق ،ط الأولى ١٤٠٣ هـ ١/ ٥٠٥ .

(٢) التحديد في الإتقان والتجويد ، تأليف أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي ، تحقيق د / غانم قدوري الحمد ، الطبعة الأولى ، بغداد ١٤٠٧ هـ /١٩٨٨ م .

(٣) المنصف ١/ ٢٤٩ .

(٤) السابق نفس الصفحة .

وقد سمع ابن جني عن شيخه أبي علي هذا الإشمام في { فُعِل } المضعف فقد قال : " وقال لي أبوعليّ : إنهم ينشدون بيت الفرزدق على ثلاثة أوجه :

وما حُلَّ من جَهلٍ حُبى حُلمائنا ولا قائِلُ المعروفِ فينا يُعنَّفُ

{ حُلَّ ، وحِلَّ ، و حِلَّ } فمن قال : { حُلَّ } فَضم الحاء فهو في الكثرة بمنزلة من قال :{ قيلَ } فكسر ، ومن كسر الحاء فقال : {حِلّ } فهو بمنزلة من أخلَّص الضمة فقال { بُوع وقُولَ } ، ومن أشم فقال { حِلَّ } فهو بمنزلة من أشم أيضا فقال { قِيل }[1] .

وقد حدث الإشمام في { القاف } وذلك في قول الراجز :

متى أنام لا يؤَرقْني الكرِي ليلاً ولا أَسمع أجراس المِطى

"أشار سيبويه إلى أنّه سمع من العرب من يُشِمُّه الرفع، كأَنَّه يقول : متى أنام غير مؤرق"[2] .

ويعلل ابن جني الحركة عند الإشمام ؛ لأنَّه يؤثر في وزن الرجز بقوله : " ومعلوم أن هذا الإشمام إنَّما هو للعين لا للأُذُن ، وليست هناك حركة البتة ، ولو كانت فيه حركة لكسرت الوزن ؛ ألا ترى أن الوزن من الرجز ، ولو اعتدت القاف متحركة لصار من الكامل "[3] .

فالإشمام حركة الشفتين نحو الضم مّن دون حس لّلأذن وإنّما حركة للعين فقط وقد أُشير إليه في كتب النحو و اللغة وقراء القرآن قبلَ أبي علي الفارسي ، قال ابن جني : وقرأَ القراء : {وسِيق الذين كفُروا}[4]

(١) المنصف ٢٥٠/١ .
(٢) الكتاب ٩٥/٣ .
(٣) الخصائص١ /٧٣ .
(٤) سورة الزمر آية { ٧١ } .

و { غُيِض الماء }[١] و{ وسيِئت وجوه} [٢] و نحو ذلك [٣] .

ثانياً : في الصوائت الطويلة والقصيرة : ـ

ويمثل هذه الصوائت في العربية الحروف الثلاثة الألف والواو والياء ، وهذه الحروف تسمى الحروف المدية أو حروف اللين ،" والألف والواو المحدودة والياء المحدودة تتحول وتصير فتحة وضمة وكسرة " [٤] .

وسماها الخليل الجوفية ، أو الهوائية بقوله : " في العربية تسعة وعشرون حرفا : منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياز ومدارج ، وأربعة أحرف جوف وهي : الواو والياء والألف اللينة . والهمزة ، وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللّسان ، ولا من مدارج الحلق ولا من مدرج اللهاة ، وإنّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تُنسب إليه إ لا الجو ف . وكان يقول كثيراً : الألف اللّينة والواو والياء {هوائية أي أنها في الهواء } [٥] .

وعدها سيبويه حروفاً غير مهموسة بقوله : " الواو والياء والألف هذه الحروف غير مهموسات ، وهي حروف لين ومدَّ ، ومخارِجها متسعة لهواء الصوت ، وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها ، ولا أمد للصوتِ ، فإذا وَقفت عندها لم تَضمها بشفةٍ ولا لسانٍ ولا حلقٍ كضم غيرها ، فيهوى الصوتُ إذا وجد متَّسعا حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة وإذا تفطنت وجدت مسَّ ذلك . وذلك قولك : ظَلَمُوا ورموا

---

(١) سورة هود آية { ٤٤ } .

(٢) سورة الملك آية { ٢٧ } .

(٣) المنصف ١/٢٥٠ .

(٤) أبحاث في علم أصوات اللغة العربية للدكتور/أحمد عبد التواب الفيومي ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩١ م ، مطبعة السعادة ص٨٠.

(٥) العين ١ / ٥٧ .

، وعَمِي وحُبَلَى " [١] .

"وتظهر أهمية الحركات في صياغة المشتقات وتنمية الألفاظ في العربية والذي يتبعه تنمية للمعاني " [٢].

وقد ذكر ابن جني أن هذه الأحرف متسعة المخرج وأن ألينها الألف ، بقوله : " فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا يقتطع الصوت عن امتداده واستطالته استمر الصوت ممتداً حتى ينفد ، فيفضي حسيراً إلى مخرج الهمزة ، فينقطع بالضرورة عندها ، إذا لم يجد منقطعاً فيما فوقها ، والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة : الألف ، ثم الياء ، ثم الواو ، وأوسعها والينها الألف ، إلا أن الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والواو ، والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو " [٣] .

وهذا إدراك واضح عند ابن جني بخاصية حرية مرور الهواء ، في أثناء النطق بالحركات ، وأنها تختلف عن الحروف : التي تتطلب تدخلاً من أعضاء النطق ، في أثناء حدوثها .

يقول :" أما الألف والواو والياء فصوتها أكثر من الحركات "[٤]. "والمد فيها عوض عن الحركة ، والحركة التي قبلها كأنما هي نفس الحرف ، وأصل المد وأقواه وأعلاه وأنعمه وأنداه إنما هو الألف، وإنما الياء والواو في ذلك محمولان عليها

---

(١) الكتاب ٤ / ١٧٦ .

(٢) الصوائت والمعنى في العربية دراسة دلالية ومعجمية للدكتور / محمد محمد داود ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ص ٤٢ .

(٣) سر صناعة الإعراب لابن جني ، تحقيق / لجنة من الأساتذة ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤م ١ / ٧ ، ٨ .

(٤) الخصائص ٣ / ٣٩٥ .

وملحقان في الحكم بها" [١].

"وهذه الحروف لها عدة تسميات وألقاب فتسمى الحروف المصوتة ، والحروف الممطولة ، والأحرف المستطيلة [٢] ، والأحرف الطويلة ، والأحرف الممتدة [٣]، واللينة، والممدودة ، والمدات "[٤]."وحروف المد " [٥]."والأحرف التامة ،والوافية "[٦]."والتوام، والكوامل " [٧] . " والأحرف المشبعة " [٨] .

" وهذه الأحرف يشبع مطلها ، ويطول صوتها ، وتتمكن مدتها إذا جاء بعدها الهمز ، أو الحرف المشدد ، أو وقف عليها عند التذكر ، وللندبة ، وبذا تصير ، للمد أضعاف الفتحة والضمة والكسرة " [٩] .

"أما عن طبيعة ما أسموه المدات [١٠]، وهي الألف ، والواو الممدودة ، والياء

---

(١) الخصائص ٢ / ١٤٧ ، ١٥٨ ، ٣١٨ ، ٣ / ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٢) السابق ٢ / ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٤٩٥ ، ٣ / ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،١٥٥ ، وسر صناعة الإعراب لابن جني ١ / ٨ ، ٣٦ ، ٧١ .

(٣) الخصائص ٢ / ٣٩٥ ، ٣ / ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، وسر الصناعة ١ / ٨ .

(٤) الخصائص ٣ ، ١٢٤ ١٢٥ ، ١٢٦ ١٥٤ ، وسر الصناعة ١ / ٣١ ، والمنصف ١ / ٢١٣ .

(٥) سر الصناعة ١/ ٧١ .

(٦) الخصائص ٢ / ٣١٦ ، ٤٩٤ ، ٣ / ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٧) سر الصناعة ١ / ٢٠ ، ٣٠ ، ٣٤ .

(٨) الخصائص ٢ / ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣ / ١٣٠ .

(٩) السابق ٢ / ٤٩٥ ، ٣ / ١٢٥ ، ١٢٩ .

(١٠) المقتضب ، صنعه أبو العباس المبرد ، تحقيق الأستاذ /محمد عبد الخالق عضيمة ،الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٩٩ عـ ١ / ٢٣٣ . وسر الصناعة ١ / ٣١ . والخصائص ٢ / ٢٣٣ .

الممدودة، فهذه عندهم مدات يحدثن لإشباع الحركات ، ولا يكن إلا سواكن ولا يتحركن أبداً ، فهن حروف المد والاستطالة " [١] .

"والإلف لا تخرج عن المد أبداً ، أما الواو والياء فقد تجدهما والحركة فيهما كما في {وَزَنَ} و {وعد} والحركة في الحروف تقويه وتحصنه ، وهي في هذه الحالة ملحقة بالحروف الصحاح ، ومضارعة لها " [٢] ، كما قد تجدهما ساكنين وقبلهما فتحة مثل { بَيْت } و { شَيْخ } و { حَوْض } و { سَوْط } وفيهما ضعف لسكونهما ، تجد لها هاتين الحالتين بجانب حالة حدوثها عن تمكين الحركة ، ومطلها ، وإشباعها ، فهذه ثلاث حالات لها " [٣] .

وبهذا الصدد يقول د / كمال بشر : " إن الهواء حال النطق بحروف المد الثلاثة وهي الحركات الطويلة الثلاث يمتد خلال مجراه ويستمر في الامتداد . لا يقطعه شيء ولا يمنع اِستمراره أي عارض ولا ينتهي هذا الهواء إلاّ بانتهاء نطق الصوت نفسه " [٤] .

ويعني ذلك أن الهواء يمر مع هذه الأحرف حراً طليقاً دون أن يعوقه أي عائق .

وتعد الحركات الثلاث أبعاضاً لحروف المد الثلاثة .

يقول ابن جني : " اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين ، وهي الألف والياء والواو ، فكما أن هذه الحروف ثلاثة ، فكذلك الحركات ثلاث ، وهي الفتحة والكسرة والضمة ، فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو ، وقد كان

(١) سر الصناعة ١ / ٣١ ، ٧١ .
(٢) سر الصناعة ١ / ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ . والكتاب ٤ / ١٩٧ .
(٣) سر الصناعة ١ / ٢٤ ، ٢٦ ، ٣١ ، ٣٦ .
(٤) علم اللغة العام { الأصوات } ص ٨٠ .

متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة ، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة ، ألا ترى أن الألف والياء والواو اللواتي هن حروف توأم كوامل ، وقد تجدهن في بعض الأحوال أطول وأتم منهن في بعض، وذلك قولك : يخاف وينام ، ويسير ويطير ، ويقوم ويسوم ، فتجد فيهن امتداداً واستطالة ما ، فإذا أوقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم ازددن طولاً وامتداداً ، وذلك نحو : يشاء ويداء ، ويسوء ويهوء ، ويجيء ويفيء ، ويقول مع الإدغام : شابة ، ودابة ،ويطيب بكر ، ويسير راشد وتُمود الثوب ، وقد قوّص زيد بما عليه ، أفلا ترى إلى زيادة الامتداد فيهن بوقوع الهمزة والمدغم بعدهن ، وهن في كلا موضعيهنّ يسمين حروفاً كوامل ، فإذا جاز ذلك فليست تسمية الحركات حروفاً صغاراً بأبعد في القياس منه " (١) .

فابن جني يقر بهذا أن الحركات أقصر في أدائها من الحروف ، وأنها تحتاج من القارئ إلى تعزيز وتقوية .

وعدها الخليل { زوائد } على حد قول سيبويه : " وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد ، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى المتكلم به . والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه ، فالفتحة من الألف والكسرة من الياء ، والضمة من الواو ، فكل واحدة شيء مما ذكرت لك " (٢).

وكذلك السيرافي بقوله : " يعني أن الفتحة تزاد على الحرف ، ومخرجها من مخرج الألف وكذلك الكسرة من مخرج الياء والضمة من مخرج الواو ، وقال بعضهم الفتحة جزء من الألف وهكذا بدليل أنّا متى أشبعنا الضمة مثلاً صارت واواً في مثل قولنا

(١) سر الصناعة ١ / ١٧ ، ١٨ .

(٢) الكتاب لسيبويه٤ /٢٤١ ، ٢٤٢ .

زيدو ، وبدليل أن سيبويه لما ذكر الألف والواو والياء قال لأن الكلام لا يخلو منهن أو من بعضهن " .[١]

أما عن سبب تسميتها بالحركات يقول ابن جني: " وإنّما سميت هذه الاصوات الناقصة حركات ، ولأنها تُقلقُ الحرف الذي تقترن به ، وتجتذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها ، فالفتحة تجتذب الحرف نحو الألف ، والكسرة تجتذبه نحو الياء ، والضمة تجتذبه نحو الواو ، ولا يبلغُ الناطق بها مدى الحروف التي هي أبعاضها ، فإن بلغ بها مداها ، تكملت له الحركاتُ حروفاً أعني ألفاً وياءاً وواواً " [٢] .

ويتضح من ذلك أن تسميتها بالحركات جاء في موضعه ، فبسبب تحريكها للحرف ومحاولتها جذبه إليها سميت بذلك .

ومن أمثلة التحول بين الحركات الطويلة : –

الإعــلال : -

وهو تسهيل وتيسير النطق بالحرف ؛ لأن الحروف الصعبة نطقاً تسهل نحو الحروف السهلة نطقاً ، فالهمزة تسهل نطقاً نحو الألف أو الواو أو الياء ، فيعد التيسير في النطق باللغة ، فهو نظرية تميل إليها اللغة من أجل التخلص من الأصوات العسيرة حتى تستبدل أصواتًا لا تتطلب جهداً كبيراً عند النطق بها ؛ ولهذا تتفادى التعقيدات اللغوية[٣].

ومفاد ذلك أن الإعلال غالباً ما يحدث بين حروف العلة ، لطلب الخفه ،

---

(١) حاشية الكتاب ٢ / ٣١٥ ، طبعة بولاق .

(٢) سر الصناعة ١ / ٣٢ ، ٣٣ .

(٣) أبو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية ، د/علي جابر المنصوري ، مطبعة الجامعة ، بغداد ، ط / أولى ١٩٨٧م ، ص١٣٤ .

والكثرة ، والمناسبة بين بعضها وبعض من جهة أَنَّه يتَمكن بها أو ببعضها من إخراج الحروف ، ومن جهة ما فيها من المد واللين ، ومن جهة ما تمكن بها في الشعر من التلحين ، ومن جهة اتساع مخرجها على اشتراكها في ذلك أجمع [١] .

وينقسم الإعلال إلى عدة أقسام :

أحدها : الإعلال بالقلب ، الذي يعني حلول حروف العلة بعضها محل البعض .

ثانيها : الإعلال بالحذف ، الذي يعني سقوط أصوات العلة بكاملها ، نحو " يعد " مضارع وعد .

ثالثها : الإعلال بالنقل ، الذي يعني سقوط بعض عناصر صوت العلة نحو " يقول" أصلها : يَقوُلُ ، فالثاني والثالث يختص بحروف العلة في حين الأول يحدث بالتناوب بين الهمزة وحروف العلة نحو " عجائز " والأصل عجاوز [٢] .

وبهذا يكون الإعلال نوع من التحول الذي أصاب أصوات العلة ، أو أصوات العلة ومعها الهمزة .

ونظراً لضيق المقام نكتفي بضرب بعض الأمثلة على الإعلال بالقلب ومنه:

١ـ قلب الواو ألف في " يا " : -

يقول ابن جني[٣] : " وسألني أبو علي - رحمه الله - عن ألف " يا " من

---

(١) المخصص لابن سيده ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط أولى١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ٤ /١٨٠ .

(٢) المنهج الصوتي للبنية العربية ، د / عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة بيروت ، لبنان ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ١٦٧ .

(٣) الخصائص ١ / ٢٧٦ . والبيت لزهير بن مسعود الضبي { النوادر في اللغة ، لأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١٠ م ، ص ٢١ } .

قوله فيما أنشده أبو زيد :

فَخَير نَحن عِنْد النَّاس مِنْكُم إذا اَلداعِي اَلمثَوّب قَالَ يا لاَ

فقال : أمنقلبة هي ؟ قلت : لا ، لأَنّها في حرف أَعني "يا " فقال : بل هي منقلبة . فاستدللته على ذلك ، فاعتصم بأَنّها قَد خُلِطَتْ باللام بعدها ووقِف عليها ، فصارت اللام كأنها جزء منها ، فصارت " يال " " بمنزلة " " قال " ، والألف في موضع العين وهي مجهولة ، فينبغي أَن يحكم عليها بالانقلاب عن الواو " .

" وقوله : يا لا ، أراد " يالِ بني فُلانٍ" فحكى صوت الصارخ المستغيث " [1] "على أن {اللام} خلطت بـ {يا } أراد أَنّه خلطت لام الاستغاثة الجارة بيا حرف النداء وجعلتا كالكلمة الواحدة وحكيتا كما تحكى الاصوات " [2] .

ونرى ابن جني هنا مؤيداً لشيخه أبي علي بقوله : " وهذا هو الصحيح ؛ لأَنَّك إذا استقريت اللغة وجدتها في أكثر الأمر هكذا ، ألا ترى إلى { بابٍ ،ودارٍ ،وساقٍ ، ونار ، وتاجٍ ، وصاعٍ } فهذا كله من الواو . والياء في هذا الموضع قليلة " [3] .

واستدل على صحة ما ذهب إليه شيخه بقوله : " ويدل صحة ما ذهب إليه : أن الألف في " قاف وكاف ودال " ونحوها لا يعلم لها أصل في الياء ولا في الواو ، لأَنّها غير متصرفة ، إلا أَنَّهم لما أعربوها وعطفوها فقالوا : { قاف ، وكاف ، ودال } اشتقوا منها أفعالاً كما يشتق من الأسماء الصريحة فقالوا:{ قَوفتُ قافاً ، و كوفتُ كافاً ودولت

(١) النودر فى اللغة ص ٢١ .

(٢) خزانة الأدب ، للبغدادي ، تحقيق وشرح / عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط / الثالثة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م ٢ /٦ .

(٣) المنصف لابن جني ١ /١٢٦ .

دالاً } ، وقالوا { لويتُ لاءً حسنةً } فجعلوها من الواو لأن الإمالة لم تُسمع فيها " [١] .

٢ـ قلب الألف ياء : -

وذلك في قوله تعالى :"يا بشرى" ي قراءة بعضهم من غير القراء السبعة [٢] .

حكى ابن جني عن أبي علي سبب قلب ألف { بشرى } ياء وإدغامها في ياء الإضافة بقوله : " قال لي أبو علي : إن قلب هذه الألف لوقوع الياء بعدها ياء كأنه عوض مما كان يجب فيها من كسرها لياء الإضافة بعدها ، ككسرة ميم {غُلامِي} وياء { صاحبِي} ونحو ذلك .

ومن قلب هذه الألف لوقوع هذه الياء بعدها ياء لم يفعل ذلك في ألف التثنية ، نحو غَلاماي وصاحباي ، كراهة التباس المرفوع بالمنصوب والمجرور" [٣] .

ويبدو أن هذا الإعلال والقلب للألف ياء الذي أثاره أبو علي في قوله تعالى "يا بشرى" هو قليل في لغة العرب أو هو لغة خاصة عند بعض العرب ، ويبدو أن القراءة المشهورة هي بالألف .

٣ـ قلب الياء ألفاً : -

ينقل ابن جني إنكار أبي علي الفارسي لأبي الحسن الأخفش عن ألف كلمة { واو } التي كان يعدها منقلبة عن واو في حين يعدها أبو علي منقلبة عن ياء وذلك

---

(١) المنصف لابن جني ١ / ١٢٧ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ، أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد ، تأليف أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي ، تحقيق كامل مصطفى الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط الأولى ١٤٢١هـ -٢٠٠١ م ، ٤٤١/٢ والآية رقم (١٩) من سورة يوسف .

(٣) المحتسب لابن جني ١/ ٣٣٦ .

بقوله : " ورأيتُ أبا علي ينكر هذا القول ، ويذهب إلى أن الألف فيها منقلبة عن ياء واعتمد في ذلك على أنَّه إذا جعلها من الواو كانت الفاء والعين واللام كلها لفظاً واحداً قال : وهذا غير موجود ، فعدل عنه إلى القضاء بأنّها من ياء " (١) .

وقد أشار إلى ذلك سيبويه من قبل بقوله : " وإن جاء اسم نحو النّاب لا تدري أمِن الياء هو أم من الواو فاحمله على الواو حتى يتبين لك أنها من الياء ، لأنها مبدلة من الواو أكثر ، فاحمله على الأكثر حتى يتبين لك ، ومن العرب من يقول في ناب : نُويب فيجيء بالواو ؛ لأن هذه الألف مبدلة من الواو أكثر ، وهو غلط منهم " (٢).

وبصدد هذا يقول ابن جني : " ولستُ أرى بما أنكره أبو علي على أبي الحسن بأساً ، وذلك أن أبا علي إن كان كره ذلك لئلا تصير حروف الكلمة كلها واوات فإنه إذا قُضِي بأن الألف منقلبة من ياء لتختلف الحروف فقد حصل معه بعد ذلك لفظ لا نَظير له ، ألا ترى أَنّه ليس في الكلام حرف فاؤه واو ولامه واو إلا قولنا { واو } فإذا كان قضاؤه بأن الألف من الياء لا يخرجه من أن يكون الحرف يكون فاؤه ولامه واوين فذا لا نظير له فقضاؤه بأن العين واو أيضاً ليس بمنكر " (٣) .

ومن أفكار ابن جني الصوتية أيضاً : –

قوله : " الألف ... حرف كالنفس " (٤) . "والحرف الهاوي هو الألف " (٥) .

---

(١) سر الصناعة لابن جني ٢ /٥٩٨ .

(٢) الكتاب لسيبويه ٣ / ٤٦٢ .

(٣) سر الصناعة ٢ / ٥٩٨ .

(٤) المنصف ٢/ ٤٤ ، ٤٥ .

(٥) سر صناعة الإعراب لابن جني ، تحقيق/ لجنة من الأساتذة ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٧٤هـ ١٩٥٤م ١/ ٧١ .

"والهـاء مهتوتـه وفيهـا ضـعف وخفـاء "[١] . " والضـاد فيهـا طـولاً وتقشف " [٢] .

" والعين فيها نصاعة ، والحاء فيها بحة "[٣] .

وقد أدرك ابن جني العلاقة بين صوتي العين والحاء بقوله : " ولولا بحة في الحاء لصارت عيناً ، ولأجل البحة التي في الحاء ما يكررها الشارق في تنحنحه ، وحكي أن رجلاً من العرب بايع أن يشرب علبة لبن ولا يتنحنح ، فشرب بعضه ، فلما كظه الأمر ، قال : كبش أملح ، فقيل له : ما هذا ؟ تنحنحت ! فقال :من تنحنح فما أفلح ، وكرر الحاء مستروحاً إليها لما فيها من البحة ، التي يجري معها النفس ، وليست كالعين التي تحصر النفس"[٤] .

" والقاف تمتاز بقوتها ، وصحة جرسها " [٥]، وذكرها الخليل مع الكاف بقوله بقوله : "القاف والكاف لهويتان ، لأن مبدأها من اللهاة " [٦] .

أما سيبويه فجعلها طبقية بقوله :" من أقصى اللسان ،وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف ، ويجمعها مع الأصوات الشديدة ، ووصفها بأنها مجهورة " [٧] .

---

(١) سر صناعة الإعراب ١ / ٧٤ .
(٢) السابق ١ / ٢٢٤ .
(٣) السابق ١ / ٢٤٦ .
(٤) السابق ٢ / ٢٤٦
(٥) السابق ١ / ٧٥ .
(٦) العين ١ / ٦٥ .
(٧) الكتاب ٢ / ٢٠٦ ، ٤٠٥ .

كما ذكرها ابن جني مع الأصوات المستعلية [١] ."والطاء فيها صلابة ، والتاء فيها خفوت " [٢] .

"وحروف الهمس الصوت الذي يخرج معها نفس ، وليس من صوت الصدر" [٣] ، "وذكر أنها عشرة أحرف وهى : { الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والصاد والتاء والسين والثاء والفاء }، ويجمعها في اللفظ "ستحثك خصفة " وباقي الحروف وهى تسعة عشرة حرفا مجهورة ،وهي{ الهمزة والألف والعين والغين والقاف والجيم والضاد واللام والراء والزاي والياء والدال والذال والظاء والباء والميم والواو والنون والطاء } [٤] .

"وحروف القلقلة تسمى الحروف المضغوطة " [٥] .

"والحروف المحفوزة "[٦] ."والحروف غير المنحرفة تسمى الحروف المستوية "[٧].

"ومنقطع الصوت بمعنى مخرجه "[٨] ،"ومستقر الحروف ومواضعها بمعنى مخارجها "[٩]، "وأجراس الحروف وأصدائها : أصواتها " [١٠] .

---

(١) سر الصناعة ١ / ٦٢ .
(٢) السابق ١ / ٧٥ .
(٣) السابق ١ / ٧٣ .
(٤) السابق ١ / ٦٠
(٥) السابق ١ / ٧٣ .
(٦) السابق ١ / ٧٣ .
(٧) السابق ١ / ٣ .
(٨) السابق ١ / ٨ .
(٩) السابق ١ / ٧ .
(١٠) السابق ١ / ٦ ، ٧ ، ٩ .

الأصوات المتوسطة : -

يجعلها ابن جني بين الشديدة والرخوة حيث يقول : " والحروف التي بين الشدة والرخاوة ثمانية وهي : { الألف ، والعين ، والياء ، واللام ، والنون ، والراء ، والميم ، والواو } ويجعلها في اللفظ : لم يُرُوعنا ، وإن شئت قلت : لم يروّعنا ، وإن شئت قلت : لم يرعونا "[1] .

الذلقية : -

وعن الأصوات الذلقية يقول : "حروف الذلاقة : وهي ستة : { اللام ، والراء ، والنون ، والفاء ، والباء ، والميم } لأنه لا يعتمد عليها بذلق اللسان ، وهو صدره وطرفه " [2] .

كما ذكرها الرضي بقوله : { مر بنفل } [3] .

وتعني الذلاقة : الخفة والسلاسة على اللسان ، والأصوات التي توصف بهذه الصفة تخرج من ذلق اللسان أو ذولقه .

"وتكون صفة الذلاقة حيئذ صفة فنولوجية ، ترتبط بالسياق ، تميز الكلمات العربية الأصل عن الدخيلة ، وأنها ترد مع الصيغ الرباعية والخماسية بسبب سعة

---

(١) سر الصناعة ١ / ٦٩ ، ٧٠ . ويذكر " سيبويه " العين في هذه الحروف ، الكتاب ٢ / ٤٠٦ ، ويجعلها " ابن الجزري " خمسة حروف وهي : { اللام ، والنون ، والعين ، والميم والراء } النشر في القراءات العشر ، نشر محمد الصباغ ، القاهرة بلا تاريخ ١ / ٢٦٢

(٢) سر الصناعة ١ / ٦٤ .

(٣) شرح شافية ابن الحاجب ، للاستراباذي ،تحقيق / محمد نور الحسين وآخرون ، بيروت ١٩٧٥م ، ٣ /٢٥٨ ، والمختصر في أصوات اللغة العربية ، دراسة نظرية وتطبيقية للدكتور / محمد محمد حسن جبل ، مكتبة الآداب ، الطبعة الرابعة ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ م ص ١٠٧ .

انتشارها وسهولة جريانها على اللسان في أثناء النطق بها " [١] .

الحروف المصمتة : -

يذكرها ابن جني بقوله : " ومنها الحروف المصمتة ، وهي باقي الحروف .... أي صمت عنها أن تبني منها كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلاقة " [٢] .

ويكون الإصمات حينئذ صفة صوتية فنولوجية ، تتعلق باستخدامها في السياق ، حيث تمتنع الكلمات الرباعية والخماسية العربية ، إذا بُنيت منها ! وهي تمثل بقية حروف العربية دون حروف الذلاقة .

وقد حدد " ابن جني " الأصوات الشديدة تحديداً دقيقاً بقوله : " إلا أن بعض الحروف أشد حصراً للصوت من بعضها ، ألا تراك تقول في الدال والطاء واللام : { أدْ ، أطْ ، ألْ } ولا تجد للصوت منفذاً هناك " [٣] .

كما حدد الرخوة تحديداً دقيقاً بقوله : " أصْ ، أزْ ، أفْ ، نجد الصوت يتبع الحرف ، وإنما يعرض هذا الصوت التابع لهذه الحروف ونحوها ، مع ما وقفت عليها ، لأنك لا تنوي الأخذ في حرف غيرها ، فيتمكن الصوت فيظهر ، فأما إذا وصلت هذه الحروف ونحوها ، فإنك لا تحس معها شيئاً من الصوت ، كما تجده معها إذا وقفت عليها " [٤] .

---

(١) ويرى د / إبراهيم أنيس : أن كلمة الذلاقة لا تعني أكثر من معناها الشائع المألوف : وهو القدرة على انطلاق مدى الكلام بالعربية دون تعثر أو تلعثم . الأصوات العربية ١٠٩ وما بعدها .

(٢) سر الصناعة ١ / ٦٤ ، ٦٥ .

(٣) السابق ١ / ٧ ، ٨ .

(٤) السابق ١ / ٧ ، ٨ .

والحق فإن تعريفات العلماء العرب للأصوات الشديدة والرخوة ، تتفق مع ما ذكره علماء الأصوات المحدثون بأن الأصوات الشديدة أصوات وقتية نية Momentanlaute لا يمكن التغني بها وترديدها لأنها تنتهي بمجرد زوال العائق وخروج الهواء ، أما الأصوات الرخوة ، فإنها أصوات استمرارية متمادة Dauerlate يمكن التغني بها ، واستمرار نطقها بلا انقطاع ، ما دام في الرئتين هواء .

وعن أحرف الإطباق يقول ابن جني : " للحروف انقسام آخر إلى الإطباق ، فالمطبقة أربعة وهي { الضاد ، والطاء ، والصاد ، والظاء } ، وما سوى ذلك فمفتوح غير مطبق ، ثم يعرف الإطباق بقوله : " والإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له " (١) .

كما يذكر ابن جني الأصوات المستعلية ، ويقول أنها سبعة : " الخاء والغين والقاف والضاد والطاء و الصاد والظاء ، وما عدا هذه الحروف فمنخفض " (٢) .

ويشرح المقصود بالاستعلاء فيقول : " الاستعلاء أن تتصعد في الحنك الأعلى ، فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق ، وقد ذكرناها ، وأما الخاء والغين والقاف ، فلا إطباق فيها مع استعلائها " (٣) .

وتحدث عن الضاد وذكر أن مخرجها من حافة اللسان بقوله : "من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس ، مخرج الضاد ، إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر"(٤).

---

(١) سر الصناعة ١ / ٦٦ .
(٢) السابق ١ / ٦٢ .
(٣) السابق ١ / ٦٢ .
(٤) السابق ١ / ٤٧ .

"وقد عدها العلماء العرب من الاصوات الرخوة "[١].

"وعدها الخليل من الأصوات الشجرية" [٢] ،"ومخرجها عند المبرد من الشدق "[٣].

(١)الكتاب لسيبويه ٢ / ٤٠٦ ، وسر صناعة الإعراب لابن جني ١ / ٦١ .

(٢)العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ، ترجمة د / عبد الله درويش ، بغداد ١٩٦٧م ١ / ٦٤ .

(٣)المقتضب للمبرد ، تحقيق / عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ١٩٦٣م ١ /١٩٣ .

الخاتمة

الحمد لله المتصف بصفات الكمال ، المنعوت بنعوت الجلال ، الذي علم ما كان وما يكون وما هو كائن في الحال والمآل ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أولي الفضل والرحمات .....

وبعد،،،

حاولت فيما قدمت في هذا البحث { من جهود ابن جني الصوتية }

أن أطل إطلالة عامة على بعض جهود " ابن جني " في الدرس الصوتي بقصد تبين موقعه الصحيح بين دراسات العرب الأقدمين ، وقد توصلت فيه إلى النتائج الآتية :-

١- كان دور علماء العربية في مجال الدرس الصوتي معالجته من خلال قضايا لغوية أخرى ، من نحو وصرف وعروض وبلاغة .... الخ .

٢- أشار العلماء العرب في مؤلفاتهم إلى ما يسمى " التخطيط المقطعي " فأكدوا عليه في تقطيع الوزن العروضي للشعر .

٣- اهتدى " ابن جني " في إلمحاته الصوتية إلى سر المقطع ، وذلك من خلال تصريفه لشئون الحركات ، فهو يعتبر الحركة صوتياً تتبع الحرف .

٤- أفاد الأوربيون كثيراً من التخطيط المقطعي عند العرب إفادة تامة .

٥- نهض " ابن جني" بأعباء الصوت اللغوي بما يصح أن نطلق عليه اسم " الفكر الصوتي "إذا تجاوز مرحلة البناء والتأسيس ، إلى مرحلة التأصيل والنظرية .

٦- كان " ابن جني " أول من استعمل مصطلحاً لغوياً للدلالة على هذا العلم ما زلنا نستعمله حتى الآن ، وهو " علم الأصوات " .

٧- يعطينا " ابن جني " في مصطلحاته الصوتية مهمة الفكر الصوتي في تحقيق

المصطلحات بعامة ،عن طريق تشخيص المسميات التي أسماها

٨- تتبع " ابن جني " الحروف في المخارج ، ورتبها ونظمها على مقاطع ، متسفيداً بما أبتكره الخليل ، إلا أنه كان مخالفاً له في الترتيب ، وموافقاً لسيبويه في الأغلب ٠

٩- تابع " ابن جني " مسيرته الصوتية في مخارج الحروف بدقة متناهية ، بما نعتبره أساساً لما تواضع عليه الأوربيون باسم " الفونولوجي " أي " التشكيل الأصواتي " ٠

١٠- ذهب " ابن جني " مذهباً صوتياً فريداً يربط بين الصوت والفعل تارة ، وبين الصوت والاسم تارةً أخرى ، ويبحث علاقة كل منهما بالآخر علاقة حسية ومادية مجدة ٠

١١- حقق فكر " ابن جني الصوتي " نظاماً صوتياً قورن بالفكر الصوتي العالمي وذلك من خلال : -

أ ـ مصدر الصوت ومصطلح المقطع ٠

ب ـ جهاز الصوت المتنقل ٠

جـ ـ أثر المسموعات في تكوين الأصوات ٠

د ـ محاكاة الأصوات ٠

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سبيل الرشاد

ثبت بأهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم تنزه عن كل نقص

١ـ أبحاث في علم أصوات اللغة العربية ، للدكتور / أحمد عبد التواب الفيومي ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩١م مطبعة السعادة .

٢. الإبدال لابن السكيت ، تقديم / حسن محمد محمد شرف ، مراجعة / علي النجدي ناصف ، القاهرة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

٣. أبوعلي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية ،د/علي جابر المنصوري ، مطبعة الجامعة ، بغداد ، ط / أولى ١٩٨٧م .

٤ـ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د/ عبد الصبور شاهين ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ١٩٨٧م .

٥ـ ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي، ت/ مصطفى أحمد النماس، ط أولى ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م ، مطبعة المدني القاهرة .

٦ـ أسباب حدوث الحروف ، تحقيق/ محمد حسان الطيان ، ويحيى مير علم ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ط أولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ٠

٧ـ الأصوات اللغوية ، د/ إبراهيم أنيس ، الأنجلو المصرية، القاهرة ،ط الخامسة ١٩٧٥م ، ١٩٧٨م برقم إيداع ١٩٨٤/٢٩٠٦م ، ١٩٧٩، ١٩٩٩م .

٨. الأصول في النحو لابن السراج ، تحقيق دكتور / عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط أولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، والطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

٩. الإقناع في القراءات السبع ، تأليف أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ابن الباذِش ،حققه وقدم له د/عبد المجيد قطامش، دار الفكر بدمشق

، ط الأولى ١٤٠٣هـ.
١٠. البحث اللغوي عند العرب ، دكتور/احمد مختار عمر،عالم الكتب،القاهرة ،الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
١١. البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي ، ط أولى، القاهرة ، دار الفجر للتراث ١٩٩٨، والطبعة الثانية ١٩٧٧م ، منشورات مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان .
١٢. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي ، بيروت المكتبة العصرية
١٣. البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق / عبد السلام هارون ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الخانجي بالقاهرة .
١٤. تاريخ ابن خلدون ، ط أولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية .
١٥ـ تاريخ التراث العربي للدكتور/ فؤاد سزكين ، ترجمة دكتور/ محمود حجازي ، والدكتور / فهمي أبو الفضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٧ م
١٦. التحديد في الإتقان والتجويد،تأليف أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي تحقيق د/غانم فدوري الحمد ، الطبعة الأولى ، بغداد ١٤٠٧هـ /١٩٨٨م .
١٧ـ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ، دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ، د / محمود عكاشه ، دار النشر للجامعات ، ط أولى ، القاهرة ٢٠٠٥ م .
١٨ـ التصريف الملوكي ، ابن جني ، تحقيق / محمد سعيد النعسان ، دمشق ١٩٧٠ .
١٩ـ التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، دكتور /رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دار الرفاعي ، الرياض ١٤٠٤ هـ / ١٩٩٨ م

٢٠. التفكير اللساني في الحضارة العربية ، د / عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب .
٢١. تهذيب اللغة ، تحقيق / عبد السلام هارون وآخرين ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .
٢٢. الجمل في النحو ، تحقيق / علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الثانية ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .
٢٣. جمهرة اللغة ، دار صادر ، بيروت١٣٥١ هـ .
٢٤ـ الحجة في القراءات السبع ، تحقيق د / عبد العال سالم مكرم ، ط الثالثة ، بيروت دار الشروق ١٩٧٩ م .
٢٥ـ الحجة للقراء السبعة ، أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد ، تأليف أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي تحقيق كامل مصطفى الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى١٤٢١هـ ٢٠٠١ م .
٢٦ـ خزانة الأدب ، للبغدادي ، تحقيق وشرح / عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط / الثالثة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
٢٧. الخصائص لابن جني ، تحقيق الأستاذ / محمد علي النجار ،دار الهدى للطباعة والنشر ،الطبعة الثانية ، بيروت ١٣٧٢ هـ/١٩٥٢ م ، ط القاهرة ، دار الحديث .
٢٨ـ الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، د/ محمد حسين آل يس ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م .
٢٩. دراسة الصوت اللغوي لأحمد مختار عمر ، دار الكتب ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ

١٩٨٠م .
٣٠. الدلالة اللغوية عند العرب ، دار الضياء ، عمان ، الأردن ٠
٣١. دمية القصر وعصرة أهل العصر في طبقات الشعراء للباخرزي ، تحقيق ودراسة د/ محمد التونجي ، دار الجيل ، بيروت، ط الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .
٣٢. دور الكلمة ، ترجمة د / كمال بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٧٥ م ٠
٣٣. ديوان أمرؤ القيس ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٥٨م
٣٤ـ سر صناعة الإعراب لابن جني ، تحقيق / مصطفى السقا،ومحمد الزفزاف وإبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين ، ط الأولى ، دار نشر إدارة الثقافة العامة بوزارة المعارف ، دائرة إحياء التراث القديم ، مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م . وطبعة دار القلم ، دمشق ١٤٠٥هـ /١٩٨٤م ، تحقيق الدكتور / حسن هنداوي .
٣٥. سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، تحقيق / أبو عبد الله عبد السلام محمد عمر ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م .
٣٦ . شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ٠
٣٧ . شرح شافية ابن الحاجب ، للاستراباذي ، تحقيق / محمد نور الحسن ،والزفزاف وعبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ٠
٣٨. شرح المفصل لابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة.
٣٩ـ شرح المقدمة الجذرية في علم التجويد لزكريا الأنصاري تحقيق محمد غياث الناشر / المحقق ، طبع في مطبعة الشام ، الطبعة الرابعة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م .
٤٠. الصوائت والمغنى في العربية دراسة دلالية ومعجمية للدكتور / محمد محمد داود

دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة .
٤١. العبر في خبر من غبر للحافظ الذهبي ، حققها وضبطها على مخطوطتين / أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
٤٢. عبقري اللغويين " أبي الفتح عثمان بن جني " أستاذ دكتور/ عبد الغفار هلال ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ /٢٠٠٦م .
٤٣ـ علم الأصوات للدكتور / كمال بشر، دار غريب بالقاهرة ٢٠٠٠م برقم إيداع ١١٦٢٨ .
٤٤ـ علم الأصوات لمالمبرج ،للدكتور/عبد الصبور شاهين،مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٨٥م .
٤٥. علم الصوتيات ، د/ عبد العزيز أحمد علام ، د/ عبد الله ربيع محمود ، مكتبة الرشد ، المملكة العربية السعودية ، الرياض بإيداع رقم ٤٦٠٢ /١٤٢٥ م
٤٦. علم اللغة ، دكتور / علي عبد الواحد وافي ، ط الخامسة ، القاهرة ١٩٦٢ م
٤٧ـ علم اللغة العام "الأصوات " د/ كمال بشر ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف مصر ١٩٧٩م ، وطبعة مكتبة الشباب ١٩٩٠م .
٤٨. علم وظائف الأصوات اللغوية { الفونولوجيا} للدكتور / عصام نور الدين ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ص ١١٠ .
٤٩ـ علوم الصوتيات عند ابن سينا للدكتور / محمد صالح الضالع ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة .
٥٠. العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ، ترجمة د / عبد الله درويش ، بغداد ١٩٦٧ م ، وطبعة دار مكتبة الهلال .
٥١. في أصول النحو لسعيد الأفغاني ، الناشر مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية

١٤١٤هـ ١٩٩٤م

٥٢ـ في علم الأصوات اللغوية وعيوب النطق ، د / بدراوي زهران ، طبعة دار المعارف ، الطبعة الأولى ١٩٩٤ م ٠

٥٣. في اللهجات العربية ، د / إبراهيم أنيس ، ط الثالثة ، الأنجلو المصرية ١٩٦٥ .

٥٤. الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م ، ط الرابعة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة .

٥٥ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لمصطفى بن عبد الله الرومي المعروف بحاج خليفة ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م .

٥٦ـ لسان العرب لابن منظور ، تحقيق الأساتذة / عبد الله علي الكبير ، ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلي ، طبعة دار المعرف ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار صادر .

٥٧ـ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م .

٥٨. اللمع في العربية لابن جني ، تحقيق / حسين محمد شرف ٠

٥٩ـ مجالس ثعلب ،لأبي العباس احمد بن يحيى ثعلب ، شرح وتحقيق عبد السلام هارون دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٦٠ م ٠

٦٠. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ابن جني ، تحقيق / علي النجدي ناصف ، والدكتور/ عبد الحليم النجار ، والدكتور /عبد الفتاح شلبي دار سزكين للطباعة والنشر، ط الثانية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، والقاهرة ١٤١٥هـ /١٩٩٤م ٠

٦١ـ المختصر في أصوات اللغة العربية ، دراسة نظرية وتطبيقية للدكتور / محمد محمد حسن جبل ، مكتبة الآداب ، الطبعة الرابعة ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ م .
٦٢ـ المخصص لابن سيده ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦ م ٠
٦٣ـ المدارس النحوية، للدكتور /شوقي ضيف ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢م
٦٤. مدخل إلى الألسنية للدكتور / يوسف غازي ، منشورات العالم العربية الجامعية دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٨٥ م .
٦٥. المذكر والمؤنث ، ابن جني ، تحقيق وتقديم دكتور / طارق نجم عبد الله ، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع ٠
٦٦ـ مراتب النحويين ، أبو الطيب اللغوي ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الثانية ، مصر ١٩٧٤م .
٦٧ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م ٠
٦٨. المزهر ، السيوطي ، تصحيح / محمد أحمد جاد المولى ، وعلي محمد البيجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر بيروت ، بدون تاريخ ٠
٦٩ـ المسائل العسكريات في النحو العربي لأبي علي الفارسي ، دراسة وتحقيق دكتور/علي جابر المنصوري ، مطبعة الجامعة ، بغداد ، الطبعة الثانية ١٩٨٢ م ٠
٧٠. معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، بيروت دار إحياء التراث العربي ٠
٧١. المفردات في غريب القرآن ، لبنان ، دار المعرفة .
٧٢. المفصل في علم العربية ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثانية ٠

٧٣ـ المقتضب ، صنعه أبو العباس المبرد ، تحقيق الأستاذ / محمد عبد الخالق عضيمة الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٩٩ هـ ، والقاهرة ١٩٦٣ م ٠

٧٤ـ مقدمة الخصائص ، الشربيني ، القاهرة ، دار الحديث ، ومطبعة دار الهدى الطبعة الثانية .

٧٥ـ من أسرار العربية ، د/إبراهيم أنيس،الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة ١٩٧٥م٠

٧٦ـ مناهج البحث في اللغة،لتمام حسان، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ١٤٠٠هـ /١٩٧٩م .

٧٧ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ابن الجوزي ، دراسة وتحقيق /محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا ، راجعه وصححه /نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

٧٨ـ المنصف ، شرح الإمام / ابن جني ، لكتاب التصريف ، للإمام / أبي عثمان المازني تحقيق / إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين ، مطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده بمصر ، ط أولى ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م .

٧٩ـ المنهج الصوتي للبنية العربية ، د / عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ، ١٤٠٠ هـ /١٩٨٠ م ٠

٨٠ـ الموسيقي الكبير ، تأليف الفيلسوف / أبي نصر الفارابي ، تحقيق / غطاس عبد الملك خشبه ، مراجعة الدكتور /محمود أحمد الحفني ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة .

٨١ـ النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة مصطفى محمد نصر .

٨٢ـ النوادر في اللغة ، لأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري ، المطبعة الكاثوليكية

بيروت ١٩١٠م ٠
٨٣ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان ، بيروت دار الثقافة ١٩٧٧ م
٨٤ـ يتيمة الدهر ، أبو منصور الثعالبي ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م بيروت ، دار الكتب العلمية .